الموصوفون بأنَّهم لا يعقلون على ضوء القرآن الكريم
دراسة تفسيرية

د. بهاء الدين مرتضى حسن أحمد الشروني
قسم القرآن وعلومه - كلية أصول الدين والدعوة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية





الموصوفون بأنَّهم لا يعقلون على ضوء القرآن الكريم

دراسة تفسيرية

د. بهاء الدين مرتضى حسن أحمد الشروني

قسم القرآن وعلومه - كلية أصول الدين والدعوة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ٣/ ٩/ ١٤٤٥هـ تاريخ قبول البحث: ١٦/ ٣/ ١٤٤٥ هـ

ملخص الدراسة:

يعنى هذا البحث بدراسة موضوع الموصوفين بأنهم لا يعقلون على ضوء القرآن الكريم دراسة تفسيرية، وجاء البحث في مقدمة وتمهيد وثمانية فصول وفق المنهج الاستقرائي الوصفي، وكان من أهم النتائج

١- العقل مناط التكليف، وتصدر عنه جميع التصرفات ولذا جاء في الآية قبل الهداية.

٢- من عطَّل عقله عن تدبر العلم والإيمان عد بلا عقل، وشارك الحيوانات، بل انحط عن منزلتها، والله عز وجل خلق للإنسان الجوارح – السمع، اللسان، البصر- ليستعملهم في طاعة الله، فمن لم يسخرهم لمعرفة الدين والشرع أصبح في عِداد الفاقدين لهم.

٣- من استهزأ بدين الإسلام أو بشعيرة من شعائره دلّ ذلك على أنه لا عقل له، لأنه لم يدرك بعقله محاسن الإسلام، وكذا من ابتدع بدعة ونسبها إلى الله تعالى.

٤- من أقرَّ لله تعالى بالربوبية -الخلق والملك والتدبير- ثم أشرك معه في الألوهية، فلا عقل له، إذ كيف يقرُ بأنّ الله تعالى مدبر الأمر ثم يتوجه إلى غيره.

٥- عدم التعقّل واستخدام العقل الاستخدام الصحيح تنتج عنه كثير من المصائب والشرور والخذلان، والتشتت، وضياع الدنيا والآخرة، وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم.

الكلمات المفتاحية: العقل، الوصف، لا يعقلون، التفكر.

Those Described as “They Do Not Reason” in the Light of the Holy Qur’an: An Interpretive Study

Dr. Bahaa Al-Din Murtada Hassan Ahmed Al-Sharuni
Department of Qur’an and Its Sciences, - Faculty Fundamentals of Religion, Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University

Abstract:

This study examines the concept of those described as "they do not reason" in light of the Holy Qur’an through an interpretive lens. The research is structured into an introduction, a preface, and eight chapters, following an inductive descriptive methodology. The main findings include:
1. Reason is the basis of legal accountability, and all human actions stem from it; thus, guidance is mentioned in the verse only after reason.
2. Whoever disables their reason from reflecting upon knowledge and faith is deemed without reason, aligning with animals—or even falling below their rank. God Almighty granted humans faculties—hearing, speech, and sight—to be used in obedience to Him; whoever fails to use them for understanding religion and Sharia becomes as though they lack them.
3. Mocking Islam or any of its rites indicates a lack of reason, as it reflects an inability to comprehend the merits of Islam; likewise, innovating in religion and attributing it to God is a sign of deficient reason.
4. A person who acknowledges God’s lordship—His creation, sovereignty, and governance—but associates partners with Him in divinity, is without reason, for how can one affirm God’s management of all affairs yet turn to others in worship?
5. Failing to reason and properly employ the intellect leads to numerous calamities, evils, and disgrace, as well as division, worldly and eternal loss, and a lack of reverence for the Prophet (peace be upon him).

key words: reason, description, do not reason, reflection.

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠_٧١]

وبعد

فإن الله تعالى قد أنعم على عباده نعمًا عظيمة، في الدين والدنيا، ومن أعظم نعم الدنيا التي ينال بها الدين هي العقل، فبِه كرَّم الله تعالى الإنسان، وبه ميَّزه عن الحيوان، وجعله مناط التكليف، فمن لاعقل له لا حساب عليه ولا عقاب، ومع هذه المكانة العالية والأهمية الكبيرة إلا أنّ بعض الناس عطَّل عقله، فلا يتدبر به الحق ولا يستخدمه فيما يعود عليه بالنفع، ولا يسخّره في الإيمان بالله تعالى، وبما أرسل به رسله عليهم الصلاة والسلام، فلا يدله عقله على الحق، فتراه قد حجبت عقله سحابة التقليد الأعمى، أو مرض من أمراض القلوب، أو شهوة من شهوات النفوس، ولقد عاب الله تعالى على قوم عطَّلوا عقولهم، فخسروا الدنيا والآخرة، ولذا رأيت أن أكتب في هذا الموضوع وسميته (الموصوفون بأنهم لا يعقلون على ضوء القرآن الكريم).

أهمية البحث:

١- تأتي أهمية هذا البحث من أهمية العقْل ومكانته.

٢- ما لأسلوب الوصف بعدم العقل من وقع في الواقع والنفوس.

٣- من وصِف بعدم العقل، فقد وصِف بالشر كله.

حدود البحث: اقتصرت في بحثي هذا على الآيات التي جاء فيها الوصف الصريح بلفظ "لا يعقلون".

أهداف البحث:

١- ذكر وبيان أنواع الموصوفين بأنهم لا يعقلون.

٢- بيان السبب الذي من أجله وصفوا بأنهم لا يعقلون.

٣- ذكر ما يترتب على عدم التعقل.

الدراسات السابقة:

هنالك الكثير من الدراسات التي تحدثت عن العقل ومكانته ومنها:

١- العقل في القرآن الكريم د. عصام الدين إبراهيم النُّقيلي. وتحدث عن الألفاظ التي وردت بمعنى العقل وعن ثمار استعمال العقل ونتيجة إهمال العقل.

٢- منزلة العقل في تلقي أمور الدين د. أشرف حجازي. وتناول فيه: العقل السليم لا يتعارض مع النقل الصحيح وأسباب تعارض العقل مع النقل وشبهات المخالفين.

٣- العقل ومكانته في الكتاب والسنة د. عبد الله الربابعة. واشتمل بحثه على أربعة مباحث المبحث الأول: معنى العقل في اللغة والاصطلاح. المبحث الثاني: العقل في القرآن الكريم. المبحث الثالث: العقل في السنة المطهرة. المبحث الرابع: مكانة العقل في الكتاب والسنة.

والناظر إلى هذه المؤلفات يجدها تتحدث عن العقل ومكانته، وهي تختلف عن بحثي لأن أصل البحث عن الذين لا يعقلون.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وثمانية مباحث وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع وآخر للموضوعات

المقدمة: وفيها أهمية البحث وحدود البحث وأهداف البحث والدراسات السابقة وخطة البحث

التمهيد وفيه: أولًا: معنى العقل لغة، ثانيًا: معنى العقل اصطلاحا، ثالثًا: مكانة العقل في الإسلام

المبحث الأول: الكفار المغيّرون لدين الله تعالى لا يعقلون

المبحث الثاني: المستهزئون بالدين أو شعائره لا يعقلون

المبحث الثالث: المفترون على الله الكذب لا يعقلون

المبحث الرابع: المعطِّلون لجوارحهم المعرضون عن الحق لا يعقلون

المبحث الخامس: المقِرّون لله تعالى بالربوبية المشركون في الألوهية لا يعقلون

المبحث السادس: المتَخِذون شفعاء من دون الله تعالى لا يعقلون

المبحث السابع: المنادون للنبي -صلى الله عليه وسلم- من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون

المبحث الثامن: يهود بني النضير لا يعقلون

ثم الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

منهجي في البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الوصفي وفق العناصر التالية:

١- جمع الآيات التي ورد فيها الوصف ب (لا يعقلون) بالنص دون غيرها، ودراستها دراسة تفسيرية.

٢- بيان معنى الوصف ب (لا يعقلون) عند كل آية، وسبب الوصف به.

٣- الرجوع في دراسة الموضوع إلى كتب المفسرين وكتب السنة وأقوال سلف الأمة.

٤- إن تعددت الأقوال في الآية ووجدت قولا صحيحا قدمته على غيره واكتفيت به.

٥- كتبت الآيات بالرسم العثماني برواية حفص عن عاصم.

٦- عزوت الآيات إلى سورها في المتن.

٧- لم أترجم للأعلام وذلك خشية الإطالة.

٨- خرجت الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية.

٩- إن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإلا بينت من أخرجه من أهل العلم ثم بينت كلام أهل العلم فيه.

١٠- جعلت التوثيق للمصادر في آخر البحث وذلك خشية الإطالة.

١1- ضبطت بالشكل الكلمات التي يظن التباسها ووضحت الكلمات الغريبة من المعاجم المتخصصة.

١٢- وضعت خاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

13- وضعت فهرسًا للموضوعات وآخر للمراجع والمصادر.

التمهيد: وفيه أولًا: معنى العقل في اللغة، ثانيًا: معنى العقل في الاصطلاح، ثالثًا: مكانة العقل في الإسلام

أولًا: معنى العقل في اللغة

للعقل في اللغة عدة معاني منها:

(١) الحبس عن الشيء، قال ابن فارس:" (عقل) العين والقاف واللام أصل واحد لمنقاس مطرد، يدل عُظْمُهُ على حبسة في الشيء أو ما يقارب الحُبسة، من ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل "[١]. والعقيلة المرأة المخَدَّرَة المحبوسة في بيتها، وسمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبسه، وقيل: العاقل الذي يحبس نفسه ويردَّها عن هواها.[٢] ومن المعاني التي تدل على الحبس: الاستمساك: ومنه عقِل بطن المريض بعد ما استطلق: استمسك، ويقال: أعطني عقلا، فيعطيه دواء يمسك بطنه، وعقَلت البعير عقلا شددت يده بالعقال أي الرباط[٣]. ومن معاني الحبس كذلك: الامتناع: يقال: عَقَل الوَعِلُ في الجبل إذا علا فيه وامتنع، والمِعْقِل من حيث يمتنع فيه وهو

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (عقل)، ٤/٦٩.

(٢) انظر العين للخليل بن أحمد مادة (عقل)، ١/١٥٩ ولسان العرب لابن منظور، مادة (عقل)١١/٤٥٩.

(٣) انظر العين للخليل بن أحمد، مادة (عقل) ١/١٥٩وتهذيب اللغة للأزهري، مادة (عقل)، ١/١٦٠.

الملجأ، وقيل إن الديّة سميت عقلا لأنها إذا وصلت إلى ولي المقتول عقلته عن قتل الجاني الذي أدّاها، أي منعته[١].

(٢) التمييز: العقل هو التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان، وسمي عقل الإنسان وهو تمييزه الذي به فارق جميع الحيوان عقلا لأنه يعقِله، أي يمنعه من التورط في الهلكة، كما يعقل العقال البعير عن ركوب رأسه[٢]. ومنه: التثبت في الأمور: والعقل: التثبت في الأمور[٣]. ورجل عقول، إذا كان حسن الفهم وافر العقل[٤].

والناظر إلى هذه المعاني يجدها تنطبق على العقل؛ فالحبس عن الشيء: العقل يحبس صاحبه عن المهلكات، والاستمساك: فالعقل يجعل صاحبه يمسك عن القبائح، والامتناع: فالعقل يجعل صاحبه يمتنع عن فعل ما لا يحمَد، والتمييز: فالعقل يجعل صاحبه يميز بين الخير والشر، والتثبت في الأمور: فصاحب العقل يتثبت في الأمور ولا يتعجل ولا يتهور. وجميعها تدور على أن العقل حاجز عن المهالك والشرور.

---

(١) انظر جمهرة اللغة لأبي بكر الأزدي، مادة (عقل)، ٩٣٩/٢ وتهذيب اللغة للأزهري١، مادة (عقل)، /١٦٠.

(٢) انظر تهذيب اللغة للأزهري، مادة (عقل)، ١٦٠/١ ولسان العرب لابن منظور، مادة (عقل)،٤٥٩/١١.

(٣) لسان العرب لابن منظور، مادة (عقل)، ٤٥٩/١١.

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (عقل)، ٦٩/٤.

ثانيًا: العقل اصطلاحا:

هنالك تعريفات عديدة للعقل، وتعددت هذه التعريفات لتعدد مجالات وتخصصات المعرّفِين[١]، والذي يهمنا هنا أن نتطرق للاصطلاح الشرعي

قال الجرجاني: العقل: ما يعقَل به حقائق الأشياء، قيل: محله الرأس، وقيل: محله القلب[٢].

وقيل: غريزة يهيأ بهَا لدرْك العُلوم النظرية[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هو غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين[٤].

وقيل: العقل هو أحد غرائز النفس أو قوة من قواها تمكنها من إدراك المعاني والحقائق[٥].

وعلى ذلك فالعقل غريزة في النفس أو قوة يدرك بها الإنسان الأشياء ويقف بها على حقائق العلوم، ويتم له بها الفهم.

(١) انظر مباحث في العقل محمد نعيم ياسين ص١٣٧ وما قبلها.

(٢) التعريفات للجرجاني ص١٥٢.

(٣) الحدود الأنيقة لزكريا بن محمد الأنصاري ص٦٧.

(٤) الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٣٩/٣.

(٥) مباحث في العقل محمد نعيم يسن ص١٣٧.

ثالثًا: مكانة العقل في الإسلام

العقل نعمة عظيمة من نعم الله تعالى على الإنسان فبه يتعرّف الإنسان على ربه جل وعلا ويؤمن بخالقه تعالى إذا ما أمعن النظر إلى المخلوقات وعظيم صنع الباري، ولذا دعا الله تعالى الخلق لكي يتأملوا في مخلوقاته وصنعه قال تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٥] فدل ذلك على أن النظر بتعقل وتفكر في السماوات والأرض وكل ما خلق الله تعالى من المخلوقات -عظُم أو دَق- دال على وحدانيته سبحانه وتعالى، وأنه الخالق المستحق للعبادة وحده، وأن الناس إن نظروا إلي مخلوقاته نظر فكر واعتبار قادهم عقلهم للإيمان بالله تعالى.

وبالعقل يتوصل الإنسان إلى تصديق الأنبياء والمرسلين، فيستطيع بعقله أن يميز بين الآيات والخرافات، فيميز بين الأنبياء والمدَّعين، ويدله عقله على أن الله تعالى لا يمكن أن يترك الخلق سدى بلا رسول ولا حساب ولا عقاب(١). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال وبه يكمل العلم والعمل؛ لكنه ليس مستقلًا بذلك"(٢).

وقد أثنى الله تعالى على أصحاب العقول، وأخبر أن ما يضربه من أمثال لا يفهمها إلا العالمون قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ

---

(١) انظر جامع البيان للطبري١٣/٢٩٠ والمحرر الوجيز لابن عطية ٤٨٣/٢ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤٧٦/٣ وفتح القدير للشوكاني٣٠٩/٢.

(٢) الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٣٩/٣.

إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٣] فالعالم حقا من عقِل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه، وفهم مراد الله تعالى من أمثاله، فعلم صحتها وحسنها وفائدتها، وذلك لأن ضرب المثل يحتاج للتّعقل وتدبر المثَل والممثَّل له ومطابقة ما بينهما[١].

وقد جعل الله تبارك وتعالى التكليف منوط بالعقل، فمن لا عقل له لا تكليف عليه، قال الإمام العز بن عبد السلام: "وهو-العقل- مناط التكليف بإجماع المسلمين[٢]". فالإسلام لم يكلف إلا من يعقل، فمن فقد عقله لجنون أو إغماء أو صِغر فالتكليف مرفوع عنه، عن عائشة- رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل، أو يفيق[٣]"

وبالعقل يميز الإنسان، وبه كرمه الله تعالى على سائر المخلوقات، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠] ومن أوجه التكريم لبني آدم أن جعل

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٤٦/١٣ والبحر المحيط لأبي حيان ٣٥٨/٨ وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي٦٨/٤.

(٢) ملحة الاعتقاد ص٢٠.

(٣) رواه ابن ماجة، سنن ابن ماجة٦٥٨/١- كتاب الطلاق- باب طلاق المعتوه والصغير والنائم- رقم٢٠٤١- وأبو داود سنن أبي داود١٤١/٤- كتاب الحدود- باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا- رقم ٤٤٠٣- وابن حبان، صحيح ابن حبان٤٤٦/٤- رقم٣٧٤٨، قال الألباني صحصح انظر صحيح ابن حبان ٦٠/٢- رقم١٢٥٠.

الله تعالى لهم عقولا وتمييزا[1]. إلا أن العقل لا يستقل بنفسه في معرفة كل الخير والشر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار. وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها"[2].

ولمكانة العقل وأهميته للإنسان جاء الشرع بتحريم كل ما يضر به كالمسكرات والمخدرات قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠] وعن ابن عمر- الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام. ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها، لم يتب، لم يشربها في الآخرة"[3]. وكذلك كل ما يؤثر على العقل تأثيرًا سيئا أو يضر به فهو حرام، وهذا يدل على مكانة العقل في الإسلام فكل من غيَّب عقله بالخمر والمسكرات، ومات ولم يتب من ذلك فإن جزاءه لا يقتصر على الدنيا فقط، وإنما يمتد إلى الآخرة بحرمانه من خمر الجنة.

ومن حجب عقله وجوارحه عن التدبر والتفكر والتأمل فيما ينفعه فقد سقط عن مكانة الإنسانية، وانحط لمنزلة البهيمية، بل أدنى، بحيث تصير الحيوانات أفضل منه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا

(١) انظر النكت والعيون للماوردي٣/٢٥٧ والوجيز للواحدي ص٦٤٢ ومعالم التنزيل للبغوي ٣/١٤٥.

(٢) الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣/٣٣٩.

(٣) رواه مسلم ٣/١٨٥٧/ كتاب الأشربة/ باب بيان أن كل مسكر خمر، وأن كل خمر حرام/ رقم ٢٠٠٣.

يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩] فهؤلاء لهم قلوب، ولكنها لا تعقل ولا تفقه ولا تتفكر في آيات الله تعالى، ولهم أعين، ولكنهم لا يستعملونها في النظر إلى آيات الله تعالى فتقودهم إلى التدبر والإيمان بخالقها، وكذلك لهم آذان، ولكنها في الحق صماء لا تسمع ما يصلحها، ويدلها على الباري سبحانه، فمن كانت هذه صفاته وهذه سماته فقد شارك الأنعام في كونها لا تفقه ما يقال لها، ولا تبصر ولا تعقل بقلوبها الخير من الشر، فتميز بينهما، وصار مشاركا للأنعام في كونه يأكل ويشرب ولا يعقل(١). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وإن عزِل بالكلية: كانت الأقوال والأفعال مع عدمه: أمورا حيوانية قد يكون فيها محبة ووجد وذوق كما قد يحصل للبهيمة" (٢)، بل هو أضل سبيلا من الأنعام، فالأنعام تميز بين بعض المضار والمنافع، فتترك الضار، وهؤلاء يتركون الهدى والخير ويقدمون على الشر والفساد(٣).

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ٢٨١/١٣ والوجيز للواحدي ص٤٢٢ ومعالم التنزيل للبغوي٢٥٣/٢.

(٢) الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٣٩/٣.

(٣) انظر جامع البيان للطبري ٢٨١/١٣ والوجيز للواحدي ص٤٢٢ ومعالم التنزيل للبغوي٢٥٣/٢.

المبحث الأول: الكفار المغيِّرون لدين الله تعالى لا يعقلون

أرسل الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وأمره بدعوة الناس من الظلمات إلى النور، والناس تجاه الدعوة يختلفون من ناحية تقبُلهم؛ فبعضهم يؤمن وبعضهم يكفر ويحتّج على ما هو عليه بما ألفه من عادات وتقاليد قال تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠] هذه واحدة من حُجج الكفار والمشركين حينما يدعَون إلى ما أنزل الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من أمر بالحلال، ونهي عن الحرام، يجيبون بأنّ ما يفعلونه قد وجدوا عليه أباءهم، وورثوه عن أسلافهم، فهم تبع لهم، يحلِّلون ما حلّل أباؤهم ويحرِّمون ما حرّم أباؤهم[١].

ولما احتجّوا بأنّهم لآبائهم تابعين ولنهج أسلافهم سائرين، وبتقليد آبائهم مكتفين، وزهدوا في الإيمان بما أنزل الله قال لهم الله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ وهذا رد على مقالتهم الشنعاء، وحجتهم الواهية الحمقاء، وإظهارًا لبطلان آرائهم الفاسدة، وجاءت الهمزة لتوبيخهم ولإنكار الواقع الذي هم عليه واستقباحه، والتعجب منه لإنكار أن يقع منهم ما وقع من التقليد الأعمى، فأين ذهبت عقولكم، و كيف تتّبعون أسلافكم وأباءكم وهم لا يعقلون شيئًا من دين الله تعالى، أي: لا علم لهم بما افترضه الله تعالى وأوجبه، ولا علم لهم بما حرّمه، ولا بشيءٍ مما أمر به ولا مما

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ٣-٥٠٣.

نهي عنه، وآباؤكم مع ذلك متبعون في دينهم الهوى، وما أمرتهم به الشياطين، فكيف تتبعونهم وهذه حالهم(١).

وتقدَّم نفي العقل على نفي الهداية، لأن العقل تصدر عنه جميع التصرفات(٢). وهم مع عدم العقل لا يهتدون لخير، وكيف يدرك الرشد والصواب من خالف منهج الأنبياء، وكيف يهتدي لخير من فارق شَرع ربِّ الأرض والسماوات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن من خالف الرسل عليهم الصلاة والسلام، ليس معه لا عقل صريح، ولا نقل صحيح، وإنما غايته أن يتمسك بشبهات عقلية أو نقليه، كما يتمسك المشركون والصابئون من الفلاسفة وغيرهم بشبهات عقلية فاسدة، وكما يتمسك أهل الكتاب المبدل المنسوخ بشبهات نقليه فاسدة"(٣).

فآباؤهم وصفوا بأنهم لا يعقلون لأنهم لا للحق والصواب أدركوا، ولا للرشد أصابوا، ولم يسيروا على فطرتهم التي خلقهم الله تعالى عليها!!! فكيف والحالة هذه تتبعونهم وتتركون ما يأمركم به ربكم، فإن شأن العاقل أن يتفرّس في الأمور وعواقبها، وينظر جيدها من ردئها، وكل من له أدنى مسكة من عقل يأبّى أن يتبع من لا يعقل شيئًا من الدين، ولا يهتدي لشيءٍ من الصواب، ومن اتبع غيره بلا علم ولا بصيرة، فهذا لا عقل له(٤).

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ٣-٣٠٨ ومعالم التنزيل للبغوي ١-١٩٩ وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ١-١٨٩ وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ١-٨١.

(٢) انظر الدر المصون للسمين الحلبي ٢-٢٢٨ واللباب لابن عادل ٣-١٥٩.

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٥-٢٧٦.

(٤) انظر جامع البيان للطبري ٣-٣٠٨ ومفاتيح الغيب للرازي ٥-١٨٩.

فأصبحوا بعدم تعقلهم عن الحق معرضين، فرغبوا عمَّا أنزل الله تعالى من البينات والهدى، فضلوا، وأصبحوا سببًا في إضلال أبنائهم، وكثيرًا ممن أتى بعدهم(١).

والله جل وعلا قد حذر بني آدم من الاحتجاج بدين الآباء وطريقهم الذي ساروا عليه، وأنه ينبغي للإنسان أن يتعقَّل ويتفكَّر فيما وجد عليه آباءه أحق أم باطل قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣] فالاحتجاج بما كان عليه الآباء الضالون لا يعذر الإنسان أمام الله تعالى في الدنيا ولا في الآخرة، لأن الله عز وجل فطر الناس على توحيده، وأشهدهم على ذلك بحالهم ومقالهم، وجعل لهم عقولا يميزون بها الحق من الباطل لئلا يأتون يوم القيامة فيحتجوا بأنهم كانوا في غفلة عن عبادة الله، أو أن آباءهم كانوا مشركين وهم تبع لهم في شركهم، وهذا يدل على أن الإنسان ينبغي عليه أن يتعقَّل ويتفكَّر فيما يجده من موروثات وعقائد هل أرسل الله تعالى بها رسله، أم أن الشيطان قد دل عليها الآباء والأجداد، ولا شك أنهم مع إصرارهم على تقليد الآباء وموتهم على ذلك عاشوا على ضلال في الدنيا وخسروا الآخرة(٢).

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ٣-٣٠٨ ومعالم التنزيل للبغوي ١-١٩٩ وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ١-١٨٩ وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ١-٨١.

(٢) انظر جامع البيان للطبري ١٣-٢٥١ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٥٦/٣ وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٣٠٨.

المبحث الثاني: المستهزئون بالدين وشعائره لا يعقلون

جاء النِّداء من الله عز وجل لعباده المؤمنين محذرًا من اتخاذ المستهزئين بالدين أو شعائره أولياء قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ٥٨﴾ [المائدة: ٥٧ – ٥٨] نادى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين وحذرَهم من اتخاذ الذين يستهزؤون بالدين أولياء، وجاء التعبير بقوله "دينكم" تنبيها على عِظَم ما اقترفوه وجناية ما ارتكبوه فالدين رأس كمالات المؤمنين، وبه ينتظم معاشهم وتستقيم حياتهم، وهو سبب الحياة الطيبة في الدنيا، ومناط سعادة المسلم في الآخرة، وسبب قرب المؤمن من ربه، فحينما يستهزؤون به فقد استهزأوا بعظيم، وحينما يسخرون منه فقد سخروا من كبير، ومن استهزأ بدين أحد فقد استهزأ بصاحبه، وما دام أنَّه استهزأ بأعظم شيء فما دونه أولى. ووصفوا بأنهم لا يعقلون أي: لا يدرون شيئا عن محاسن هذا الدين العظيم، أو لم تدلهم عقولهم على سماحة هذا الدين.

وجاء كذلك وصفهم بأنهم لا يعقلون لأنهم استهزأوا بدين الإسلام، قال ابن عاشور: والدين هو ما عليه المرء من عقائد وأعمال ناشئة عن العقيدة، فهو عنوان عقل المتدين ورائد آماله وباعث أعماله، فالذي يتخذ دين امرئ هزؤا فقد اتخذ ذلك المتدين هزؤا ورمقه بعين الاحتقار، إذ عد أعظم شيء عنده سخرية، فما دون ذلك أولى(١).

---

(١) التحرير والتنوير٦-٢٤١.

والاستهزاء بهذا الدين العظيم، دليل على أن المستهزئ لم يعقل شيئا من دين الإسلام، ولو كان له عقل لدلَّه على محاسن هذا الدين وفضائله، وقاده عقله للإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولكنّهم لأنهم لا يعقلون ولسفههم هزِؤا بدين الإسلام، واستَّخفوا بحرمته، وسخروا من شرائعه، وجاء الوصف باللعِب مبالغة في الاستخفاف والسخرية والضحك. وترتب على عدم تعقلهم واستهزائهم بالدين، استمرارهم على الكفر والطبع على قلوبهم، وعدم إيمانهم وذلك من عقوبات المعاصي.

ومِن هنا لبيان الجنس وجاء وصف اليهود والنَّصارى بأنَّهم أوتوا الكتاب بيانًا للمستهزئين، وإيضاحًا لكمال شناعتهم، وغاية ضلالتهم، وعدم تعقلهم لكونهم أوتوا الكتاب، فكان ينبغي أن يكون هذا الإيتاء دليلا لكي يعقلوا أمر هذا الدين العظيم، ومانعًا لهم من الاستهزاء بهذا الدين المهيمن على كل الأديان والخاتم لها، فمحاسن الدين لا تكاد تحصى، فكيف لا يدلهم عقلهم عليها، فليس هنالك ما يصرفهم عن الإيمان بدين الإسلام إلا لأنهم لا يعقلون محاسن هذا الدبن، والحال أنهم يدرون أنَّه حق من عند الله، ويشاركهم في ذلك الكفار من المشركين، فالوصف يشملهم ومن اتصف بصفتهم(١). قال أبو السعود: "ورتب النهي على وصف يعمهُما وغيرهما تعميما للحكم وتنبيها على العلة"(٢).

---

(١) انظر الكشاف للزمخشري ١-٦٥٠ والمحرر الوجيز لابن عطية ٢-٢٠٩ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦-٢٢٣ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣-١٤٠ واللباب لابن عادل ٧-٤٠٠ وفتح القدير للشوكاني ٢-٦٢ وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٣-٥٣ ومحاسن التأويل للقاسمي ٤-١٧٧ والتحرير والتنوير لابن عاشور ١-٢٤١ وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ١-٢٣٦.

(٢) إرشاد العقل السليم ٣-٥٣.

فكيف والحالة هذه تتخذونهم أولياء وأحبابًا وأنصارًا وأعوانًا، وهم لا يعقلون شيئا من دينكم، وقد اتخذوا أفضل الأديان وأتمَّها وأكملها، وشرائع الإسلام المطهرة المحكمة المشتملة على كل خير دنيوي وأخروي، اتخذوها هزوًا ولعبًا، ووصفوا بوصف يدفع المؤمنين على تجنبهم – وهو اتخاذهم الدين هزؤًا وازدراءً وسخريةً- فلا ينبغي أن يقابل ذلك باتخاذهم أولياءَ، وأنصارًا وأحبابًا، يعاونونهم ويناصرونهم، ويبدون لهم أسرار المؤمنين، بل ينبغي أن يقابل ذلك بالإنكار والحزم(١) كما قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨﴾ [آل عمران: ٢٨] وقيل اتِّخاذهم الدين لعِبا بإضمارهم الكفر وإظهارهم الإسلام(٢).

ومما ترتب على عدم تعقلهم: أمر الله المسلمين بعدم اتخاذهم أولياء وأحبابا وأنصارًا، وأن على المؤمنين أن يقابلوا استهزاءهم بالحزم والإنكار، فكل من استهزأ بالإسلام أو بشعيرة من شعائره كالصلاة فلا عقل له، وإن كان عند الناس عاقلًا.

ثم أمر الله تعالى عباده المؤمنين بعدم موالاة الكافرين إن كانوا مؤمنين حقًا أنّ شرع الله هو الأفضل، فإنَّ ما معهم من الإيمان يحتم عليهم ترك موالاتهم، ويحثهم

---

(١) انظر الكشاف للزمخشري ١-٦٥٠ والمحرر الوجيز لابن عطية ٢-٢٠٩ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦-٢٢٣ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣-١٤٠ واللباب لابن عادل ٧-٤٠٠ وفتح القدير للشوكاني ٢-٦٢ وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ١-٢٣٦.

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي ١-٥٦٢ ومفاتيح الغيب للرازي ١٢-٣٨٨.

على معاداتهم، ومن كان يؤمن بالله وما أمر به فإنَّ إيمانه يأبى عليه أن يوالي أعداءه، وكذلك التزامهم لتقوى الله التي هي امتثال أوامره واجتناب زواجره تدعوهم إلى معاداتهم(1).

ثم بيَّن سبحانه وتعالى أنَّهم مع استهزائهم بالدين يستهزؤون بشعيرة من أعظم شعائر الإسلام، وهي الصلاة والأذان لها، والصلاة أحد أركان الإسلام، وأحد الدعائم العظام، وهي تعد من أعظم الشعائر الدينية التي تميز المسلم عن غيره، فرضها الله تعالى فوق سبع سماوات، وعظّم شأنها، وبيّن عظيم أجرها، وأهميتها لا تخفى على مسلم، فمن استهزأ بالصلاة دل ذلك على أنه لا يعقل أمرها، وذلك لكثرة محاسن الصلاة واشتمالها على الكثير من الفضائل التي يراها كل ذي عينين، ويسمع لها كل ذي أذنين، ففيها قيام وقنوت وقراءة وركوع وسجود وتكبير وتسبيح والكثير من المعاني الفاضلة، وهي الصلة بين العبد وربه، فأين عقولهم من كل تلك الفضائل؟ ولذا وصفوا بأنهم لا يعقلون.

والأذان كذلك فيه معانٍ عظيمة ففيه يعظَّم الله تعالى، ويوصف بأنَّه الأكبر، وفيه توحيد الله، وفيه الشهادة لرسوله صلى الله عليه وسلم بأنَّه رسول من عند الله، وفيه النِّداء للصلاة والفلاح إلى غير ذلك، فكل كلمات الأذان دعوة إلى الرقي والفضائل، ووصفوا بأنهم لا يعقلون لأن عقولهم غابت عن هذه الفضائل، ولم يتفكروا في تلك المحاسن، ومع كل هذه الفضائل وغيرها في الأذان والصلاة إلا أن اليهود كانوا يستهزؤون إذا سمعوا المؤذِّن يؤذِّن للصلاة، أو سمعوا قيام

(1) انظر الكشاف للزمخشري ١-٦٥٠ والمحرر الوجيز لابن عطية ٢-٢٠٩ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣-١٤٠ وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ١-٢٣٦.

المؤمنين للصلاة يقول بعضهم لبعض: قد قاموا، لا قاموا، إلى غير ذلك من الاستهزاء واللعب، ولم يدركوا شيئا من تلك المحاسن والفضائل، لأن الحسد قد حجب عقولهم عن إدراك المحاسن، والحقد قد غطى عقولهم عن معرفة الفضائل، ومن استهزأ بالصلاة، فقد استهزأ بعمود الدين والعهد الذي بين المسلم وغيره من أهل الأديان الباطلة، ولذا عاب الله تعالى على أولئك الذين استهزأوا بالصلاة وبأهلها، وبالأذان إليها[1].

وحكم عليهم سبحانه وتعالى بأنَّهم لا يعقلون لأنَّهم لم يتصرفوا بعقولهم كما ينبغي، ولم تدلهم على الحق والصواب، ولكثرة محاسن الصلاة والأذان فكان ينبغي أن تدلهم عقولهم ولو على شيء من تلك الفضائل الكثيرة، فلما لم تقُدْهم لذلك، بل قادتهم للاستهزاء بالدين أصبحت كأنَّها غير موجودة، ولو عقلوا لعلموا ما في ألفاظ الأذان من المحاسن، وما في الصلاة من الفضائل، ولعلموا أنّ في تعظيم ما أمر الله به تعظيم له سبحانه، فجهلهم وسفههم وعدم تعقلهم أداهم إلى الجهل بما للحق من نور ومحاسن، وفي الإشارة إلى أنَّهم يتخذون الصلاة والنِّداء إليها لهوا ولعبا من التهييج على عداوة من اتصف بتلك الصفات ما لا يخفى على ذي عينين[2].

---

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٢-٢١٠ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦-٢٢٤ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣-١٤٠ ومحاسن التأويل للقاسمي ٤-١٧٧.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري ١-٦٥٠ والمحرر الوجيز لابن عطية ٢-٢١٠ ومفاتيح الغيب للرازي ١٢-٣٨٨ والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١-٢٣٦ وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٣-٥٣ ومحاسن التأويل للقاسمي ٤-١٧٧ وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ١-٢٣٧.

ومما ترتب على عدم تعقلهم أنهم صُرِفوا عن محاسن الدين، ومحاسن الصلاة وتولوا عن أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا من أعظم عقوبات الذنوب، وكذلك مما ترتب على عدم تعقلهم أن هُيّج المسلمون على عداوتهم.

المبحث الثالث: المفترون على الله الكذب لا يعقلون

خلق الله عز وجل الخلق وفطرهم على توحيده، فاجتالتهم الشياطين، وأمرتهم بسنّ سننًا لا دليل عليها ولا برهان قال تعالى:﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾ [المائدة: ١٠٣] فالمشركون وصفوا بأنهم لا يعقلون لعدم تعقُّلهم فيما يفعلون، فقد ابتدعوا بدعًا، وسمّوا أسماءً ما أنزل الله بها من سلطان، ولذا ذمَّهم الله تعالى، فقد شرَعوا دينًا لم يأذن به الله، فحرَّموا ما أحلَّه الله تعالى بآرائهم الفاسدة، وجعلوا لما ابتدعوه أسماءً وقوانينًا، فحرموا بعضًا وأحلّوا بعضًا، وكل ذلك بسبب عدم تعقُّلهم، وعدم تفكُّرهم فيما يفعلون وكان أوّل من سنَّ لهم تلك السنن عمرو بن لحي الخزاعي كما جاء عن عروة أن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت جهنم يحطِم بعضها بعضا، ورأيت عمرًا يجر قُصْبَه، وهو أول من سيَّب السَّوائب(١)» فهو أول من يتناوله الوصف ب(لا يعقلون) لأنه هو الذي دلّهم عليها كما أنّه أول من عبد الأصنام ودعا إلى عبادتها، ولو تعقَّل فيما يفعل وتفكَّر لما جر الناس إلى الشرك والكفر بالله عز وجل، ولعلم أن هذه أصنام لا تضر ولا تنفع، عن أبي هريرة- رضي الله

(١) رواه البخاري ٦-٥٥- كتاب تفسير القرآن- باب ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصية ولا حام – رقم ٤٦٢٤ ومسلم ٢-٦١٩- كتاب الكسوف- باب صلاة الكسوف – رقم ٩٠١.

عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون-رضي الله عنه-: «إني رأيت عمرًا يجر قُصْبَه في النار، وكان أوَّل من غير دين إبراهيم وأول من حَمَى الحِمَى وسيَّب السَّوائب وبَحَر البحيرة ووصَلَ الوصيلة ونصب الأصنام وغيَّر دين إسماعيل فلم أر أحدًا أشبه به منك» قال: يا رسول الله، هل يضُرُّني ذلك شيئا؟ قال: «لا، إنك مؤمن وهو كافر(١)». وترتب على عدم تعقله أن أصبح من أهل النار، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا كل من سلك طريقه ومات على ما مات عليه عمرو بن لحي الخزاعي، سواء من عاصره أو أتى بعده، وكفى بذلك خسارًا.

وقد تعددت أقوال المفسرين في تفسير هذه الأسماء، ومن ذلك ما جاء عن سعيد بن المسيب قال:

" البحيرة: التي يمنع دَرُّها للطواغيت، فلا يحلُبُها أحد من الناس.

والسائبة: كانوا يسيِّبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء.

والوصيلة: الناقة البكر، تبكِّر في أول نِتَاج الإبل، ثم تثنِّي بعد بأنثى، وكانوا يسيِّبونها لطواغيتهم، إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر.

والحام: فحل الإبل يضرِب الضِّراب المعدود، فإذا قضى ضرابَه وَدَعوه للطواغيت، وأعفَوْه من الحَمْل، فلم يحمل عليه شيء وسمَّوْه الحامي(٢)".

---

(١) رواه ابن أبي عاصم الأوائل ١-٨٣- وحسن إسناده الألباني، السلسلة الصحيحة ٤-٢٤٣.

(٢) رواه البخاري ٦-٥٤ -كتاب تفسير القرآن- باب ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصية ولا حام - رقم ٤٦٢٣.

فكل هذه الأسماء وتبعاتها ابتدعها المشركون، بغير دليل ولا برهان، ولم يكتفوا بابتداعها بل افتروا على الله الكذب وقالوا إنَّ الله أمرنا بها، ووصفهم سبحانه وتعالى بأنهم لا يعقلون، إذ كيف يشرع الإنسان شرعا ثم يدعِّي أنه من عند الله تعالى ويتبعه، ويجعله دينا، ولذا كذَّبهم الله تعالى، وأخبر أنَّه ما جعل من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام، أي ما أوجبها ولا أمر بها، وأن المشركين في قيلهم ذلك كذّابون مفترون على الله الكذب، ومن معاني أنهم لا يعقلون أنهم لم يستعملوا عقولهم الاستعمال الصحيح، ومما ترتب على عدم تعقلهم افترائهم الكذب على الله تعالى، وكذلك قطعوا طريق الانتفاع على الناس بها، وقصروا المنفعة التي جعلها الله لهم، فحرَّموا لبن البحيرة على أنفسهم وعلى سائر الناس فلم ينتفع به أحد، وتركوا الحمل على السائبة، فلم ينتفعوا بظهرها وقد أحلها الله تعالى لهم، وكذا الوصيلة تركوها فلم ينتفعوا منها بشيء، وكذا فعلوا مع الحام تركوا ظهره فلم يحملوا عليه شيء، وهكذا يكون حال من عدِم العقل، يأتي بالبدع، فتضيّق عليه أمر الدنيا، وتدخل الإنسان في أشياء هو في غنى عنها، وتبعده عن ربه، وكفى بهذه مصيبة.

وأخبر الله تعالى أنَّ أكثرهم لا يعقلون، فهم لا يعقلون أنَّ آباءهم كذّابون في ادّعائهم أنّ ما حلّلوه وما حرّموه هو من عند الله، وأنّ ما يفعلوه دين وطاعة يتقرب بها إلى الله تعالى، وقد غطى التقليد عقولهم، وسلب الجمود تفكيرهم، وما ذلك إلا لضعف عقولهم وعجزها عن إدراك حقيقة الأمر، وفي وصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون ذم لأولئك الأتباع الذين يقلِّدون أسلافهم بلا علم ولا برهان،

فالحلال ما أحلّه الله والحرام ما حرَّمه الله، والدين ما شرعه الله، ومن استعمل عقله قاده للإيمان بالله تعالى(١).

قال السعدي: "فتبًا لمن قلَّد من لا علم عنده صحيح، ولا عقل رجيح، وترك اتباع ما أنزل الله، واتباع رسله الذي يملأ القلوب علما وإيمانا، وهدى، وإيقانا"(٢).

ولذا جعل الله تعالى الرجس من نصيبهم ولازمهم قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس: ١٠٠] فالله تبارك وتعالى بيده الأمر من قبل ومن بعد، فمن استحق الإيمان والهداية شرح الله صدره للإيمان وسخّر عقله فقاده للإيمان، وهداه وجعله من المؤمنين، ومن استحق الغِواية غوى، فحجب عن عقله الهدى والإيمان، فكان من الغاوين، فلا يستطيع أن يؤمن أحد من بني آدم إلّا إذا أذن الله في ذلك وشاءه وقدَّره وقضاه، فإنه لا رادّ لقضائه، ولا معقِّب لحكمه، فإن قضى إيمان أحد آمن وصدّق واتبع هدى الله، فتصبح نفسه مستعدة لقبول الحق مميّزة بين الحق والباطل، والصلاح والفساد، فيعقل الآيات وتنفع فيه النذر، وفي المقابل من كان خبيث النفس لا يؤمن ولا يعقل الآيات والنذر فالرجس نصيبه.

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١١-١٣٥ والوجيز للواحدي ١-٣٣٨ والمحرر الوجيز لابن عطية ٢-٢٤٧ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦-٣٣٦ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣-٢١١ وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ١-٢٤٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ١-٢٤٧.

والرجس في اللغة: اسم لكل ما استقذر من عمل[1].

وأما المراد به في الآية فقد تنوعت أقوال المفسرين فيه إلى:

أ- العذاب[2]. **ب**- العقاب والغضب[3] والسخط[4].

ج- الضلال[5] والخبال[6]. **د**- الخذلان[7] أو الكفر[8].

هـ- الشر[9].

وأقوالهم جميعها تندرج تحت الشر الذي أعِد لهم وقد تنوعت أسماؤه، ولا مانع من حصول كل ذلك لهم، لأنهم لا يعقلون ما أنزل الله تعالى في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، فترتب على عدم تعقلهم أن وقع الشر عليهم بجميع أسمائه، وأنواعه. فهم لا يعتبرون بالآيات والمواعظ، ولا يستعملون عقولهم في مرضاة الله تعالى فتدلهم على الحق، فعطَّلوا عقولهم عن أعظم ما خلقت له،

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ١٠-٣٠٦ وانظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢-٢٠٠ والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ١-٣٤٢.

(٢) انظر جامع البيان للطبري ١٥-٢١٤ والوجيز للواحدي ١-٥٠٩ ومعالم التنزيل للبغوي ٢-٤٣٦ والمحرر الوجيز لابن عطية ٣-١٤٥ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨-٣٨٦ وفتح القدير للشوكاني ٢-٥٣٩.

(٣) جامع البيان للطبري ومعاني القرآن للفراء ١-٤٨٠ وانظر الصحاح للجوهري ٣-٩٣٣ ولسان العرب لابن منظور ٦٠٩٥.

(٤) جامع البيان للطبري ١٥-٢١٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤-٢٩٨ وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ١-٣٧٤.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤-٢٩٨.

(٧) الكشاف للزمخشري ٢-٣٧٣.

(٨) فتح القدير للشوكاني ٢-٥٣٩ والتحرير والتنوير لابن عاشور ١١-٢٩٤.

(٩) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ١-٣٧٤.

فكان حظهم ونصيبهم الشر بأنواعه، ولما أخبر سبحانه وتعالى أنَّ الكفار وأهل الضَّلال لا يعقلون دل ذلك على أنَّ حالة المؤمنين هي حال من يعقلون[1].

المبحث الرابع: المعطِّلون لجوارحهم المعرضون عن الحق لا يعقلون

خلق الله تعالى الخلق لعبادته وحده لا شريك له، وفطرَهم على توحيده، فاجتالتهم الشياطين، فأرسل الله تعالى رسله ليبيِنوا للناس صراطه المستقيم فمنهم من آمن وأطاع، ومنهم من عطَّل عقله وجوارحه فأعرض وكفر وصد عن سبيل الله، وقد وصف الله تعالى بعض المعرضين عن دينه بصفات، منها أنهم فقدوا السمع الذي ينتفعون به وفقدوا العقل، فلم يهتدوا للإسلام قال تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤٢﴾ [يونس: ٤٢] هذه حال بعض الذين لا يعقلون، منهم من يستمع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، حينما يقرأ القرآن، لكنهم لم يستمعوا ليستفيدوا، أو ينتفعوا، ولكنهم يستمعوا ليبحثوا عن العثرات والزلّات، أو ليجدوا شيئا يأخذونه على القرآن، وأحيانا قد تأسِر بلاغة القرآن وفصاحته الأسماع فلا يستطيع السامع إلّا أن يسمع له، ووصفوا بأنهم لا يعقلون لأنهم فقدوا السمع النافع الذي يدلهم على الحق، وسلبوا الفهم الصحيح، وترتب على كونهم لا يعقلون أن وقعوا في أسْر التبعية

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٥-٢١٤ والنكت والعيون للماوردي ٢-٣٥٤ ومعالم التنزيل للبغوي ٢-٤٣٦ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤-٢٩٨ وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٤-١٧٧و فتح القدير للشوكاني ٢-٥٣٩ وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ١-٣٧٤ والتحرير والتنوير لابن عاشور ١١-٢٩٤.

لأسلافهم والتقليد لآبائهم، وعِظَم بغضهم لما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- فتوجهت نفوسهم إلى طلب القبيح، والإعراض عن الفضائل والجميل! فمن بلغت عداوته إلى أن رأى الجميل قبيحًا، والقبيح جميلًا، وقد سُلب مع ذلك السمع المفيد الذي به يتقبّل الحق ويدرك الأشياء على حقيقتها، وأصبح لا يعقل ولا يفهم، أنىّ له أن يسمع سماعًا ينتفع به فينقاد ويؤمن، وفي وصفهم بالصم بعد وصفهم بالسمع دليل على أن السمع النافع للمستمع هو ما يعقِل به ما يسمعه ويفقهه ويعمل بمقتضاه، وأنّ من عطَّل سمعه عن سماع الحق كان كالأصم الذي لا يسمع، وقاده ذلك إلى عدم عقل القرآن الكريم والحق الذي جاء به، قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ [الأنبياء: ٢]. فهم ساهون لاعبون غافلون، لا يتعظون بما يسمعون، ولا يعقلون.

ولما كان الأصم العاقل يستطيع أن يدرك بعض الأشياء ويهتدي لها، جاء التعبير بأنه فقد مع السمع العقل، فانسدت عليه أبواب الفهم والقبول، فلا يمكن أن يسمع سماع تفهم وقبول، كيف والحال أنهم قد حرِموا التوفيق(١).

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٥-٩٥ وتفسير القرآن العظيم للسمعاني ٢-٣٨٥ والكشاف للزمخشري ٢-٣٤٩ والمحرر الوجيز لابن عطية ٣-١٢٢ ومفاتيح الغيب للرازي ١٧-٢٥٧ وزاد المسير لابن الجوزي ٢-٣٣٢ والفوائد لابن القيم ١-٢٠٧ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤-٢٧٠ والبحر المحيط لأبي حيان ٦-٦٣ واللباب لابن عادل ٤-١٤٨ وفتح القدير للشوكاني ٢-٥٠٩ وروح المعاني للألوسي ٦-١١٩ وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ١-٣٦٥ وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ١١-٣١٤.

قلت: وهذا يدل على أنّ من يستمع إلى القرآن ولم يؤمن به، ولم يستخدم عقله في فقهه والانتفاع به فلا عقل له، وإن رآه الناس عاقلا، فالله سبحانه وتعالى إنمّا خلق العقل وكرّم به بني آدم ليتفكّروا في خالقهم، وليدلهم عقلهم على بارئهم، فإذا ما سمعوا كلامه، خشعت له قلوبهم ولانت له جلودهم، وأيقنوا أنّه كلام ربهم وخالقهم، فليس هنالك كلام يشبهه لا لفظًا ولا معنىً.

وجاء الوصف مرة ثانية للذين لا يعقلون، ولكنهم في هذا الوصف فقدوا العقل مع حاستين السمع النافع والقول النافع قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٢- ٢٣] وفي هذه الآية وصف الله سبحانه وتعالى المعرضين عن شرعه الذين لا يعقلون بأنهم شرّ ما دب ومشى على وجه الأرض، وعبَّر عنهم بالدواب

وهم حِيال هذا التعبير بين أمرين:

الأول: هم شر من يدب؛ أي يمشي على وجه الأرض من المخلوقات.

الثاني: أنه شبَّههُم بالبهائم ثم جعلهم شرّها وأخسَّها، وجاء التعبير بالدَّواب ليتأكّد ذمَّهم، وهذا من باب المبالغة في التحذير من أمرهم وشأنهم وأفعالهم، وليدرك الناس أن الحيوانات مع دناءتها أفضل ممّن أعرض عن دين الله تعالى، ولم يعقل أمره، وبذا جاء وصفهم في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وبعد أن شبّهوا بالبهائم وصفوا بصفات:

الأولى: أنهم صمّ فهم صمّ عن سماع الخير، صمّ عن سماع الحق، وإن كانوا يسمعون لكنهم لا ينتفعون.

الثانية: أنهم بكم فهم بكم عن الحق فلا يقولونه، ولا يدّلون عليه، وهذا يدل على أن الله تبارك وتعالى إنَّما خلق هذه الجوارح؛ الأذن ليسمع الناس بها الخير، واللِّسان لينطقوا به الحق، فمن لم يستعملهما في الخير والحق الذي خلقا له، واستعملهما في المعاصي فهو فاقد لهما حقيقة، وإن كانتا موجودتين[١]. قال الأصفهاني: إنما العاقل من وحَّد اللَّه تعالى وعمل بطاعته[٢].

الثالثة: أنهم لا يعقلون، فهم لا يعقلون معاني ما أنزل الله في كتابه، ولا ما يقوله رسوله صلى الله عليه وسلم، وترتب على عدم تعقلهم أن أصبح حالهم؛ لا لحجج المولى يفهمون، ولا لأمره ونهيه سبحانه وتعالى يعُون، فقلوبهم منكِرة، وصدورهم مغلَقة، وعقولهم مسلوبَة، فلا يعتبرون كما يعتبر العقلاء، وأصبحوا في منزلة شر الدواب، بل أخس، وترتب كذلك على عدم تعقلهم أن أخبر الله تعالى -وهو أصدق القائلين- أنهم لا خير فيهم، وأنهم لا يستجيبون لأمر الله تعالى ولا لأمر رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٣-٤٥٩ والنكت والعيون للماوردي ٢-٣٠٦ والمحرر الوجيز لابن عطية ٢-٥١٤ وإعلام الموقعين لابن القيم ١-١٢٣وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤-٣٤ وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ١-٣١٨.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة للأصفهاني ص١٣٦.

وجاء الوصف بأنَّهم لا يعقلون تنبيهًا لكمال سوءِ حالهم، وذلك لأن الأصمَّ الأبكم إذا كان له عقل ربما يفهم شيئًا أو ربما يفهِمه غيره، بالإشارة ونحوها، فيهتدي إلى بعض ما يريد، فأما إذا كان مسلوب العقل مع فقدان السمع والبصر، فقد انسدت كل طرق إيصال الفهم والخير لديه، وبهذا يظهر كونهم شرًا من البهائم، لِمَا عطَّلوا ما أكرمهم الله به عنها من عقل وحواس.

ثم أخبر سبحانه وتعالى أنّه يعلم أنّ هذا الصنف من النَّاس لا خير فيه، ولو كان فيهم خيرًا لأسمعهم سماعًا يعقلون به ويفهمون منه ما يقال، فيعملوا بما يسمعوا وينتفعوا به، ولكنَّه سبحانه يعلم أنَّهم لا خير فيهم، وأنَّهم ممّن كُتب لهم الشقاء فلا يؤمنون، فلو أفهمهم، وجعلهم يعقلون ما يراد بالأوامر والنواهي لتولَوا عن الله ورسوله وهم معرضون عن الإيمان بما عرفوا، وبما أدركوا ولأعرضوا عن ذلك وتركوه وراء ظهورهم، وذلك لعنادهم وغلبة الشقاء عليهم، وجحودهم الحق بعد ظهوره وبيانه، ولما سبَق من علم الله تعالى فيهم، أنهم لا يؤمنون، فلم يسمعهم لذلك، ولأنه والحال هذه لا فائدة من إسماعهم، ولا حكمة ترجى من ورائه(١).

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٣-٤٦٣ والوجيز للواحدي ١-٤٣٥ ومعالم التنزيل للبغوي ٢-٢٨٢ والكشاف للزمخشري ٢-٢٠٩ والمحرر الوجيز لابن عطية ٢-٥١٤ وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٤-١٥ واللباب لابن عادل ٩-٤٨٧ وفتح القدير للشوكاني ٢-٤٤٢ والتحرير والتنوير لابن عاشور ٩-٣٠٦.

قال السعدي: "وهذا دليل على أن الله تعالى لا يمنع الإيمان والخير، إلا لمن لا خير فيه، الذي لا يزكو لديه ولا يثمر عنده، وله الحمد تعالى والحكمة في هذا[1]".

ثم جاء الوصف الثالث لمن عطَّل عقله وجوارحه عن استعمالها في الخير، وفي هذه المرة لقوم فقدوا ثلاث صفات فمع الصَّمم والبَكم فقدوا النظر الصحيح لطريق الحق قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [البقرة: ١٧١] هذا مثل ضربه الله تعالى للكافر في قلة فهمه، وسوء إدراكه، وعدم قبوله لما يدعْى له من توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به، والدعوة للحق والخير، فهو مِثل الحيوانات والدَّواب السارحة، التي لا تعي ما يقال لها فهي تسمع صوت الناعق والمنادي لها، حينما يدعوها إلى ما يصلحها، أو يطلب منها أن تأكل، أو تشرب، لكنها لا تعقِل ما يقال لها، وليس لها من ذلك إلا سماع الدعاء والنداء قال تعالى: ﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾[2] [البقرة: ١٧١] والنِّداء: هو "رفع الصوت وظهوره، وقد يقال للصوت المجرد[3]".

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ١-٣١٨.

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٣-٣٠٨ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١-٤٨٠ وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ١-٨١ و

(٣) الكليات لأبي البقاء الكفوي ١-٩٠٦ والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ١-٣٢٣ وجامع العلوم للقاضي ٣-٢٧٤.

والدعاء: هو "طلب الطالب للفعل من غيره[1]".

قال ابن عاشور: "والظاهر أن المراد بهما نوعان من الأصوات التي تفهمها الغنم، فالدعاء ما يخاطب به الغنم من الأصوات الدالة على الزَّجر وهي أسماء الأصوات، والنِّداء رفع الصوت عليها لتجتمع إلى رعاتها"[2].

فحظها من النعق أنها تسمع الصوت ولا تدري ما يقال لها، وترتب على عدم تعقل الكافر أنه يسمع آيات الله تتلى عليه، والحجج والبيِّنات تقَصُّ عليه، لكنه لسوء تقبله، وإعراضه وتكبره، لا يعي منها شيئا غير الصوت، وترتب على ذلك بقاؤه على ضلاله، وغيِّه، وكذلك تشبيههم بالدواب[3].

وبعد أن شُبّهوا بالأنعام وصفهم الله تعالى بصفات زيادة في تبكيتهم وتقريعهم فقال: ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [البقرة: ١٧١] **وهذه ثلاث صفات:**

الأولى: أنّهم صمّ فهم يسمعون لكنهم عن الحق والخير صمّ، فلا يسمعون الحق سماع تقبّل وتفهّم وعمل.

الثانية: بكم فهم يتكلمون لكنهم خُرس عن قول الحق والخير والصواب، فلا يقولونه ولا يقرِّون به. **الثالثة:** عُمي فهم يبصرون لكنهم لا يبصرون طريق الحق والهدى، ولا يهتدون إليه، فلمّا لم يعملوا بما يسمعوه، ولم ينطقوا به ويقولوه،

---

(١) المخصص لابن سيده ٤-٥٧ وانظر الفروق اللغوية للعسكري ١-٣٨ والتعريفات للجرجاني ١-١٠٤.

(٢) التحرير والتنوير ٢-١١٣.

(٣) انظر جامع البيان للطبري ٣-٣٠٨ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١-٤٨٠ وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ١-٨١.

ولم يهتدوا إلى طريق الحق ولم يبصروه، أصبحوا في منزلة من فقد السمع والبصر والكلام(١).

ثم أخبر سبحانه أنهم مع فقدهم تلك الصِّفات الثلاث المهمة فقدوا العقل، فهم لا يعقلون شيئًا ولا يفهمونه، فلا يعقلون شيئًا ممّا أمر الله به ورسوله –صلى الله عليه وسلم– ووصفوا بعدم العقل لأنَّهم عطَّلوا عقلهم فلم ينتفعوا به، ولم يستخدموه في التَّفكر فيما أنزل الله تعالى من حجج واضحة بيِّنة، ولم يتدبروا فيما يقوله رسوله –صلى الله عليه وسلم(٢)– وهم مع ذلك سدُّوا على أنفسهم طرق التعقل – السمع، النطق، النظر– وكيف يكون عاقلًا من دُعي إلى الخير والصلاح ونُهي عن الشر والفساد، وأُمر بما يعود عليه بالنفع في الأولى والآخرة، فعطَّل جوارحه وعقله، وأصبح لا يعي الحق، وعصى وأدبر وتولى واقتحم النار على بصيرة؟ (٣).

وضُرب هذا المثل تنبيهًا للسامعين أن المعنِيين بالخطاب وصفوا بأنهم لا يعقلون ووقعوا فيما وقعوا فيه بسبب ترك الإصغاء، وعدم الاهتمام بما أنزل الله تعالى، وبما تقوله الرسل –عليهم الصلاة والسلام– فصاروا بمنزلة الأنعام، وفي المثل زجر وردع لمن يقلِّد غيره بدون عقل ولا بصيرة(٤).

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ٣–٣١٥ والنكت والعيون للماوردي١–٢٢١ ومعالم التنزيل للبغوي ١–١٩٩ والكشاف للزمخشري ١–٢١٤ والمحرر الوجيز لابن عطية ١–٢٣٨ ومفاتيح الغيب للرازي ٥–١٨٩ واللباب لابن عادل ٣–١٦٧ وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ١–٨١.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١–٤٨٠ وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ١–١٩٠.

(٣) انظر تيسير الكريم الرحمن للسعدي ١–٨١.

(٤) انظر اللباب لابن عادل ٣–١٦٣.

وقد جاءت هذه الآيات الثلاث: الأولى: لقوم فقدوا السمع النافع وعدموا العقل، فلا سبيل إلى اهتدائهم، والثانية: لقوم فقدوا السمع النافع والقول النافع وعدموا العقل، فهؤلاء شر من الأُوَل، والثالثة: لقوم فقدوا السمع النافع والقول النافع والبصر النافع وعدموا العقل فهؤلاء شر الثلاثة، قد انسدت عليهم جميع سبل الفهم والقبول، وجميعهم اشتركوا في فقدان العقل، فحق عليهم الوصف بأنهم لا يعقلون، وهذا يدل على أن فقد العقل وتعطيله مصيبة لا تعدلها مصيبة، فهو يكفي في إضلال الإنسان فكيف إذا اجتمع معه تعطيل حاسة من الحواس، بل جميعها.

المبحث الخامس: المقرِّون لله تعالى بالربوبية المشركون في الألوهية لا يعقلون

من أساليب القرآن الكريم في إثبات العبودية لله رب العالمين أنَّه يحتج على المشركين بما اعترفوا به من توحيد الربوبية قال تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٣] يقول الله عز وجل لنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– ولئن سألت هؤلاء المشركين الذين صرفوا العبادة لغير الله عز وجل؛ من الذي ينزّل الماء من السحاب، ويسوقه إلى الأرض المجدِبة القاحِلة، فينزله عليها، فتحيا وتهتز رابية قد أخرجت من كل زوج بهيج، فسيعترفون لك ويقولون: الله، وهذا يستلزم منه بطلان عبادتهم لغير الله تعالى، وعدم إفراده سبحانه وتعالى بالألوهية، وذلك لأنَّ الذي تفرَّد بإنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها، وعجزت عنه آلهتهم يدل على أنَّه الإله الحق الذي له الخلق والأمر، فيلزمهم أن يفردوه بالعبادة، لأنَّه لا رب سواه ولا إله غيره، وأن يعترفوا أنَّ أصنامهم عاجزة لا تقدر على شيء من ذلك، فلو كان لها من الأمر شيء لأنزلت المطر وأحيت الأرض(١).

وحينها أمر الله عز وجل نبيه – صلى الله عليه وسلم– أن يحمد الله عزَّ وجلَّ على اعترافهم بتفرد الله تعالى بالأمر وعجز أصنامهم وآلهتهم عن فعل ذلك، وقد أقروا على ذلك بأنفسهم، وظهرت الحجة عليهم.

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ٢٠-٥٩ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣-٣٦١ وفتح القدير للشوكاني ٤-٢٤٤ وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ١-٦٣٥.

ثم شهد عليهم سبحانه وتعالى بأنّ أكثرهم لا يعقلون، وسبب وصفهم بأنهم لا يعقلون أنهم يقرِّون أن الذي يتصرف في الكون ويعطي ويمنع هو الله تعالى ثم يتوجهون بالعبادة لغيره ممَّن لا يملك شيئًا، ويتركون الإله الحق المتفرد الذي بيده الأمر؟ قال ابن عاشور: فكأنهم لا عقل لهم لأن وضوح الحجج يقتضي أن يفطن لنتائجها كل ذي مسكة من عقل فنزلوا منزلة من لا عقول لهم[1].

فكل عاقل يقر أن الذي يستحق العبادة، هو الله تعالى الذي يحي ويميت ويعطي ويمنع، ويرزق خلقه من السماء والأرض، ووَصَف أكثرهم بعدم العقل لأنَّ أكثرهم لا يتفطَّنون لتلك الحجج مع وضوحها، فهم لا يعقلون ما يعود عليهم بالنفع من أمر دينهم، ولا يعقلون ما يعود عليهم بالضرر، وكيف يعقل من يترك عبادة ربه الذي خلقه وصوره وأحسن خلقه، الذي بيده الأمر كلّه، وإليه يرجع الأمر كلّه، ثم يتجه لعبادة أحجار أو أموات أو غيرها، ممّن لا يضر ولا ينفع، ويترتب على عبادته غير الله تعالى ضلاله عن الصراط المستقيم، ووقوعه في الشرك برب العالمين، فيصبح بذلك قد استوجب الخلود في النَّار وبئس القرار، وترك جنَّةً عرضها الأرض والسماوات، فأصبحوا كأنَّهم لا عقل لهم، ومعنى وصفهم بأنهم لا يعقلون هو أنَّهم لم يستخدموا عقلهم فيما ينفعهم من أمر دينهم، ولم يدلهم عقلهم إلى تلك البيِّنات الواضحة، فهذا يتفطن له كل

(١) التحرير والتنوير ٢١/٣٠.

من له أدنى عقل، وجاء وصف عدم العقل ليس لجميعهم وإنما لأكثرهم وذلك لأن من استخدم عقله منهم دلَّه على الصواب فآمن وانقاد واستسلم(١).

وقد أمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال المشركين ومحاورتهم عقليًا بأشياء لا يستطيعون لها دفعًا ولا صرفًا قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣١-٣٢] فالسؤال الأول: يتعلق بالأرزاق والأقوات؛ فأمره أن يقول لهم: من ذا الذي يرزقكم فينزل الغيث والمطر من السماء؟ ومن الذي يخرج من الأرض الأقوات والغذاء بأنواعها المختلفة من حبوب، وثمار، وكلأ وغيرها؟ فتأكلون أنتم ودوابكم منها، والسؤال الثاني: يتعلق بموهبة الحواس التي لا غنى للإنسان عنها، من الذي يملك أسماعكم وأبصاركم؟ من الذي خلقهما في أحسن صورة، وجعل بعضكم قوي السمع، سمعه نافذ يسمع من الأصوات ما لا يسمعه غيره، وهناك من هو ضعيف السمع وآخر قد عدمه بالكلية، وكذلك الحال بالنسبة للأبصار، فجعل بعضكم بصره قوي حاد، يبصر من مسافات بعيدة، والبعض ضعيف البصر لا يرى إلا بعد عناء، وبعضكم أعمى لا يبصر شيئا، من الذي فاوت بين هذا وهذا؟ أليس هو المالك لهم؟

(١) انظر جامع البيان للطبري ٢٠-٥٩ والكشاف للزمخشري ٣-٤٦٣ والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢١-٣٠.

والسؤال الثالث: يتعلق بنظام التناسل بين الأحياء وهو الذي يكون به بقاء الأنواع، من الذي يخرج الحي من الميت؟ من الذي يستطيع أن يخرج الطير من البيضة، والنبات من الحبة، ومن يستطيع ان يخرج الميت من الحي؟ فيخرج البيضة من الطير والحب من النبات، وغيرها كثير.

والسؤال الرابع: يتعلق بتدبير الكون وتقدير الأمور كلها وهذا عموم بعد خصوص، ومن يدبر الأمر؟

ومن الذي يدبر الأمر فيقضي ما يشاء سبحانه ويقدره؟ من الذي يدبر الأمر فكل العالم تحت تدبيره؟ فالكل له عبيد مسخرون، ما قدره كان وما لا يقدره لا يكون، لا معقب لحكمه وهو أحكم الحاكمين، فسيجيبون ويقولون الذي يفعل كل ذلك هو الله تعالى، وهذا إن أنصفوا وعملوا على ما يوجبه الفكر الصحيح والعقل السليم(١)، وهؤلاء لا يعقلون لأنهم يعترفون بأن الفاعل لكل ما تقدم هو الله تبارك وتعالى ومع ذلك يتوجهون بالعبادة إلى غيره، فهذا يدل على أنهم حرموا التوفيق قال الأصفهاني: العاقل لا يستغني عن توفيق الله له(٢).

والناظر إلى كل هذه الأسئلة يراها تخاطب العقل، وتأمره بالتفكر في الأمر، والتأمل حتى يصل إلى الحقيقة المنشودة، ثم بين لهم سبحانه وتعالى أنه الفاعل لكل ما تقدم من أفعال، وهو الذي يستحق أن تفردوه بالعبادة، دون ما سواه، وكل معبود سواه باطل، لا يستحق شيئا من العبادة، فكيف بعد كل هذا

---

(١) انظر جامع البيان للطبري١٥/٨٣ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤/٢٣٣ وفتح القدير للشوكاني٢/٥٠٤ والتحرير والتنوير لابن عاشور١١/١٥٥.

(٢) الحجة في بيان المحجة ص .

تصرَفون من عبادة الإله الحق إلى المعبودات الباطلة، ومن فعل ذلك فقْد عدِم عقله ودينه، وخسِر دنياه وآخرته، وحق عليه الوصف بأنه لا يعقل [1].

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٢٣٣.

المبحث السادس: المتَّخذون شفعاء من دون الله تعالى لا يعقلون

من وساوس الشيطان التي لبَّس بها على بعض الناس، أن زيَّن لهم اتِّخاذ شفعاء من دون الله، موسوسًا لهم أن ذلك من الدين، وقربة لربِّ العالمين قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الزمر: ٤٣] وهنا أنكر الله سبحانه وتعالى على من توجه بالعبادة إلى غيره، ظانا أن ذلك الغير سيشفع له عند الله تعالى، وهكذا كان المشركون يعبدون أصنامهم ويتوجهون إليها بأنواع العبادات ظانِّين أنَّها ستشفع لهم عند الله، فوبَّخهم الله تعالى وأنكر عليهم ذلك، وقال لنبيِّه عليه الصلاة والسلام قل لهم: كيف تزعمون أنَّ تلك الأصنام ستشفع لكم عند الله وتقرِّبكم زلفى لديه؟ والحال أنَّها لا تملك شيئًا، والمعنى أيشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئًا من الأشياء؟ وجاءت شيئًا نكرة في سياق النَفي فعمَّت كل ملْك صغيرًا حقيرًا كان أو عظيمًا، فلا هم ولا غيرهم من المخلوقات يملكون مع الله تعالى ذرَّة في السماوات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، فالكون كونُه والملك ملكه والأمر أمره سبحانه وتعالى عمَّا يشركون، والشفاعة واحدة من هذه الأشياء التي لا يملكونها، ووصِفوا بأنَّهم لا يعقلون، لأنَّ الشفعاء الذين اتخذوهم من دون الله جمادات وأحجار وأشجار وصور وأموات(١)، فكيف تتخذونها والحالة هذه

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ٢١-٢٩٩ ومعالم التنزيل للبغوي ٤-٩٢ والكشاف للزمخشري ٤-١٣١ والمحرر الوجيز لابن عطية ٤-٤٣٥ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥-٢٦٤ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧-١٠٢ واللباب لابن عادل ١٦-٥٢١ وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٧-٢٥٧ وفتح القدير للشوكاني ٤-٥٣٥ وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ١-٧٢٦ والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٤-٢٧.

لا عقل لها ولا تمييز؟ فأنتم لو اتخذتم من يعقل ويميز لكان ذلك عيبا، لأنه مخلوق ضعيف، لا يملك شيئا، وعقله قاصر، فكيف والمتخَذ لا يعقل ولا يميز، أين ذهبت عقولكم التي كرمكم الله بها عن سائر المخلوقات؟ فاتخذتم من لا يعقل ولا يميز شفيعا ووسيطا من دون الله تعالى، قال السعدي: فأعظم أحكام العقل بطلان إلهيتها وفسادها وفساد عقل من اتخذها آلهة وشركاء للخالق(١).

ومن اتخذ من لا يملك ولا يعقل شفيعا دل ذلك على أنه هو نفسه لا يعقل، لأنه عطَّل عقله الذي حباه الله تعالى به. وهذا يدل على أن العقل من أكبر النعم، وأن فقدانه من أكبر النِقم، لأن الله تعالى عاب بعدمه آلهة المشركين، وعاب بعدمه أيضا من يتوجه إليهم. وترتب على عدم تعقلهم: أن وقعوا في الشرك بالله تعالى، وكفى به إثما مبينا.

وقد عاب الله سبحانه وتعالى على المشركين عبادتهم للأصنام قال تعالى:﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٥]

وفي هذا إنكار غاية الإنكار على المشركين، ودعوة لهم لكي يستعملوا عقولهم ويتفكروا فيما يفعلونه فهذه الأصنام هل لها أرجل يذهبون بها في قضاء حوائجكم حينما تحتاجون إليهم؟ أو يدفعون بها شرا عنكم؟ وهل لهم أيد يستطيعون أن يجلبوا لكم بها الخير ويدفعوا بها عنكم أذى من أرادكم بسوء؟ وهل لهم أعين ينظرون بها إلى الأشياء، فيخبرونكم بما حدث في غيابكم؟ فيأتون لكم بالخير ويدفعون عنكم الشر! ولا يخفى عليكم حال الأعمى كيف يكون!

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٥٧٧.

وهل لهم آذان يسمعون بها ما غاب عنكم من الخير؟ فيخبرونكم به لتدركونه! أو يسمعون من الشر ما غاب عنكم فيحذرونكم منه؟ والجواب: أن أصنامكم وشفعاءكم لا يملكون شيئا من هذه الأدوات التي يتم بها إدراك الخير، ودفع الشر، وها هي أمامكم بلا أرجل ولا آذان ولا أعين!! أفلا تعقلون وأفلا تتفكرون في أمركم، فأنتم أفضل من هذه الجمادات وقد عدمت هذه الآلات والجوارح المهمة فكيف تتوجهون إليها بالعبادة(١). وفي هذا دلالة على نعمة العقل، وأنَّ فقده من أعظم المصائب، وفقده إما بعدمه، وإما بعدم استخدامه الاستخدام الصحيح، ولذا وصف الله تعالى الأصنام التي يتخذها المشركون آلهة من دون الله بأنها لا عقل لها ولا تمييز، ولا آلات لها لتدرك بها الخير، أو تدفع بها الشر فكيف تكون شفيعا من دون الله، ولهذا وصف الله تعالى المشركين بأنهم ما عظَّموا الله تعالى حق عظمته، ولا قدروه حق قدره قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧] وعدم تقديرهم لربهم جل وعلا ناتج من عدم تعقلهم، وقد أصبح سببا في أنهم صرفوا العبادات لغير الله تعالى وجعلوا له شفعاء ووسطاء، وفي صرفهم هذه العبادات لغير الله تعالى تسوية لله تعالى بغيره، ولهذا يندمون على صرفهم للعبادة لغير الله تعالى، ولمساواتهم الشفعاء والوسطاء وغيرهم بالله تعالى ويعترفون أنهم كانوا في ضلال وعمى وهم في النار قال تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ

(١) انظر جامع البيان للطبري ٣٢٢/١٣ ومعالم التنزيل للبغوي ٢٥٩/٢ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤٧٩/٣ و

ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨] وهذه المساواة لم تكن في الذات والصفات وإنما كانت في العبادات كالمحبة والتعظيم، ولا يخفى ما في ذلك من سوء ظن برب العالمين وذلك لأن المتخذ للشفيع والوسيط والند من دون الله إما أن يظن أن الله تعالى يحتاج إلى من يساعده ويعينه، أو أن الله تعالى يحتاج له، أو أنه سبحانه لا يعلم بالأمر المعين حتى يعلمه الشفيع، وكل هذا من عدم التعقل، ومن التنقص للغني بذاته، وكل الخلق مفتقرون إليه[1].

(١) انظر الصواعق المرسلة لابن القيم ١/٢٢٩-٢٣٠.

المبحث السابع: المنادون للنَّبي صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون

أرسل الله عز وجل النَّبي -صلى الله عليه وسلم - رحمة للعالمين وحجة على العباد أجمعين وأعلمهم أنّ من أطاعه فقد أطاع الله، وأوجب له المحبة التوقير والاحترام والتبجيل، وعاب على من لم يتأدب معه قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ [الحجرات: ٤-٥] وكان من ذلك أن جاء بعض الأعراب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونادوه من وراء الحجرات رافعين أصواتهم، "عن البراء بن عازب- رضي الله عنه- في قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ قال: فقام رجل فقال: يا رسول الله إن حمدي زين وإن ذمي شين فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ذاك الله"(١). فعاتبهم الله تعالى ووصفهم بأنّ أكثرهم لا يعقلون، أي أغلبهم جاهلون بدين الله، وما أوجبه على المؤمنين من توقير النَّبي صلى الله عليه وسلم، قال السعدي: فذمهم الله بعدم العقل، حيث لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسوله واحترامه، كما أن من العقل وعلامته استعمال الأدب(٢).

---

(١) رواه الترمذي ٥-٣٨٧- باب ومن سورة الحجرات – رقم ٣٢٦٧ والنسائي السنن الكبرى ١٠-٢٦٧ –كتاب التفسير- قوله تعالى: (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون – رقم ١١٤٥٠ وقال الألباني صحيح، انظر صحيح وضعيف سنن الترمذي ٧-٢٦٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٧٩٩.

ولو عقلوا لعلموا أنَّ رفع الصوت مناف للأدب مع الكبراء والعظماء وذوي الشأن، فكيف وهذا سيد الكبراء والعظماء وخاتم الأنبياء والمرسلين، وأكرم الناس على رب العالمين، فكل الرتب والمنازل تتقاصر عن رتبته ومنزلته — صلوات ربي وسلامه عليه- وأدَب العبد عنوان عقله فدّل فعلهم هذا على أنَّهم لم يسيروا على ما يقتضيه العقل من حسن الأدب، مع سيد الأولين والآخرين، وخليل رب العالمين، وكان في فعلهم هذا جفاء وقلة توقير(1). فترتب على عدم تعقلهم أن عاملوا النبي صلى الله عليه وسلم بما لا ينبغي أن يعامل به، وفي هذا هضم لجناب النبوة، وجفاء لمن بعثه الله رحمة للعالمين، وتبين من ذلك جهلهم بالدين، وبمنزلة النبوة.

وكان الصحابة- رضي الله عنهم- لكمال عقلهم إذا بدر منهم شيء تجاه النبي صلى الله عليه وسلم بغير قصد، رجعوا عن ذلك، وزاد توقيرهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وألزموا أنفسهم بمزيد من التوقير والتبجيل للنبي صلى الله عليه وسلم فعن ابن أبي مليكة قال: «كاد الخيران أن يهلكا: أبو بكر وعمر-رضي الله عنهما-، لما قدِم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد بني تميم، أشار أحدهما بالأقرع بن حابس الحنظلي- رضي الله عنه- أخي بني مجاشع، وأشار الآخر بغيره، فقال أبو بكر لعمر- رضي الله عنهما-: إنما أردت خلافي، فقال عمر- رضي الله عنه-: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ ﴾ إلى قوله: ﴿عَظِيمٌ

(1) انظر جامع البيان للطبري ٢٢-٢٨٦ والمحرر الوجيز لابن عطية ٥-١٤٦ وفتح القدير للشوكاني ٥-٧١ وروح المعاني للألوسي ١٣-٢٩٣ وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ١-٧٧٩.

﴾ [الحجرات: ٢-٣] قال ابن أبي مليكة: قال ابن الزبير: فكان عمر- رضي الله عنه- بعد -ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر- رضي الله عنه- -إذا حدث النبي صلى الله عليه وسلم بحديث، حدثه كأخي السِرار، لم يسمعه حتى يستفهمه»(١). وهذا يدل على شدة توقيرهما للنبي صلى الله عليه وسلم، وكمال عقل الصديق وعمر- رضي الله عنهما-، لما صدر منهما ما لا يليق والنبي صلى الله عليه وسلم موجود، وصدر بغير قصد، رجعا مما فعلا، وهكذا صاحب العقل الوافر إذا تبين له الحق رجع، وأعطى صاحب الحق حقه.

وعلى ذلك كان سلفنا الصالح ممّن لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم فقد كانوا يتأدبون مع حديثه، ويظهرون من الأدب والإجلال لكلامه وحديثه عليه الصلاة والسلام كما لو أنه بينهم حي يتكلم، وناظر أبو جعفر- أمير المؤمنين- مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله تعالى أدّب قوما فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ٢] ، ومدح قوما فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٣] ، وذم قوما فقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ [الحجرات: ٤] وإن حرمته ميتًا كحرمته حيًا فاستكان لها أبو جعفر، ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليًا يسمعهم، فقال قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ٢] وحرمته حيًا وميتًا سواء، ... وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث النبي

---

(١) رواه البخاري٩/٩٧ -كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب ما يكره من التنازع والتعمق في العلم- رقم ٧٣٠٢.

صلى الله عليه وسلم أمرهم بالسكوت وقال: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] ويتأول أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله[١]. وهذا يدل على عِظَم حبهم للنبي صلى الله عليه وسلم ووفور عقلهم لاستجابتهم لأمر الله تعالى.

قلت: وفي هذا دليل على مكانة النبي صلى الله عليه وسلم الكبيرة، ووجوب معاملته المعاملة اللائقة بمكانته ومنزلته، وأنّ كل من عامله بجفاء أو بغير ما يستحقه من تبجيل وتعظيم، دل ذلك على نقصان عقله، وعدم علمه بما يجب له من توقير واحترام، وان صاحب العقل الوافر يتعامل مع أحاديثه كأن النبي صلى الله عليه وسلم يقولها أمامه، وأنّ كل من عامله بتوقير وتبجيل دل ذلك على وفور عقله وكماله، وأن صاحب العقل يقوده عقله لمعاملة الناس على قدر منازلهم ومكانتهم، وأن أولى الناس بذلك الأنبياء وفي مقدمتهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم أعلمهم سبحانه وتعالى أنَّهم لو صبروا وانتظروا حتى يخرج إليهم لكان أفضل لهم في الدين والدنيا، أما في الدين لأنَّهم بصبرهم حتى يخرج إليهم، وتركهم النداء، ممتثلون ما أمر الله تعالى به من توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتبجيله، ومراعاة جنابه الشريف، تاركون ما نهاهم الله عنه من النداء والإزعاج، مدخِلون بذلك السرور على نفس النبي – صلى الله عليه وسلم – وأما في الدنيا فقضاؤه حوائجهم[٢].

---

(١) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٢/٤٢-٤٣.

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٢٢-٢٨٦ والمحرر الوجيز لابن عطية ٥-١٤٦.

وجاء تقييد الخروج بإليهم وفي ذلك دلالة على أنَّه حتى بعد خروجه -عليه الصلاة والسلام - ينبغي عليهم أن يصبروا ويتأكّدوا أنّه خرج إليهم -عليه الصلاة والسلام- كأن يبدأهم بالسلام والكلام، أو يتوجه إليهم، ولا يخفى ما في ذلك من عظيم شأنه عند الله تعالى[1].

ولعظيم رحمته سبحانه وتعالى، فهو لا يعاجل بالعقوبة من يستحقها، فرحمته سبقت غضبه أخبر أنَّه غفور رحيم، فهو يعفو ويغفر لمن نادى وأزعج النَّبي صلى الله عليه وسلم، إن تاب وندم واستغفر، ومن رحمته أنه لم يعاجلهم بالعقوبة، بل اقتصر على نصحهم وتوبيخهم[2].

---

(١) انظر الكشاف للزمخشري ٤-٣٥٨ وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٨-١١٨.

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٢٢-٢٨٦ والنكت والعيون للماوردي ٥-٣٢٨ وتفسير القرآن العظيم للسمعاني ٥-٢١٦ وروح المعاني للألوسي ١٣-٢٩٦.

المبحث الثامن: يهود بني النضير لا يعقلون

بعث الله نبيه –صلى الله عليه وسلم– فعاداه الناس وحاربوه وكان من أولئك الذين عادوه وحاربوه اليهود، وقد وصفهم الله تعالى حين القتال قال تعالى: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤ ﴾ [الحشر: ١٤] يخاطب الله عز وجل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويبين لهم صفة من صفات اليهود، فمن صفاتهم أنَّهم يخافون ويرهبون المسلمين أكثر مما يرهبون ويخافون من الله جلّ جلاله، وما ذاك إلا لأنَّهم لا يعقلون ما فيه الأفضل لهم مما فيه البخس، فهم لا يعرفون قدر الله عزّ وجل، ولا يقدّرونه حقَّ قدره، وهذا يدل على ضعف عقولهم، إذ كيف يخاف الإنسان من إنسان مثله أكثر من خوفه من الله جل جلاله، الذي بيده الأمر كله وإليه يرجع الأمر كله، ومما يدل على أنهم لا يعقلون أنهم يرتكبون المعاصي والآثام غير مبالين بعذاب الله ووعيده لهم، ويعرفون أنَّ دين الإسلام هو دين الحق ومع ذلك لا يتبعونه، وهم لا يعقلون ما فيه الخير لهم، فهم لا يقاتلون ولا يحاربون المؤمنين، وجهًا لوجه، ولا رجلًا لرجل، ولكن من وراء حائل يحول بين المؤمنين وبينهم من شدة جبنهم وحرصهم على الحياة، لا يقاتلونكم إلا من وراء الحصون، أو من وراء الجدران، وهذا أيضا يدل على حبهم للدنيا وأنهم لا يعقلون، وذلك لعدم إيمانهم فلو آمنوا بالله جل وعلا لعرفوا أن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم.

ولا يخفى ما في هذا من تشجيع المسلمين على قتالهم، وتنبيهًا للمؤمنين على انهزامهم، كيف لا والله تعالى تعهد أن ينصر من ينصره(1).

ثم أخبر سبحانه وتعالى أن العداوات والإحَن التي بين اليهود بعضهم لبعض وبينهم وبين المنافقين شديدة، وجملة ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ﴾ تفيد أنه لا ضرر يقع على المؤمنين من بأسهم لأنه بينهم فقط، فهو منقلب عليهم، ولو عقلوا لم يكن بأسهم بينهم، وإنما على أعدائهم، وترتب على عدم تعقلهم أن أصبح بأسهم بينهم، لا على غيرهم.

وحينما ينظر الناظر إلى اليهود والمنافقين مع بعضهم لاجتماعهم يظنهم مؤتلفين ومتحدين ومجتمعين وعلى قلب رجل واحد، والحقيقة أن اجتماعهم اجتماع أبدان لا أكثر فقلوبهم متنافرة، وعقائدهم مختلفة، فهم متنافرون متدابرون، غير مؤتلفين، تجمعهم عداوة أهل الحق، فترتب على عدم تعقلهم أن اجتماعهم مع بعضهم اجتماع أبدان، لا اجتماع قلوب، وهكذا كل من لم يعقل أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم تجدهم مختلفين متنافرين، ولو ظهروا في صورة المجتمعين.

ثم بين سبحانه وتعالى ما يترتب على عدم تعقلهم ومن ذلك أنَّ هذا الذي أصابهم من خوفهم من الصحابة -رضي الله عنهم- أكثر من خوفهم من الله! وجبنهم من المؤمنين، وعدم خروجهم للبِراز والقتال، وتشتت قلوبهم، والبأس

(1) انظر جامع البيان للطبري ٢٣-٢٩٢ ومعالم التنزيل للبغوي ٥-٦٢ والكشاف للزمخشري ٤-٥٠٧ وزاد المسير لابن الجوزي ٤-٢٦١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨-٣٦ وفتح القدير للشوكاني ٥-٢٤٤ والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٨-١٠٦.

الذي بينهم وغير ذلك بسبب أنهم لا يعقلون ما فيه الخير لهم، فيتبعونه وما فيه الشر لهم فيحذرونه، ففقدوا كل ذلك بعدم تعقلهم، فقد انساقوا وراء أحقادهم على النبي صلى الله عليه وسلم –كونه لم يخرج منهم – وعلى المسلمين، وهم يعلمون أنه نبي آخر الزمان –صلى الله عليه وسلم– ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فترتب على أنهم لا يعقلون أن أضاعوا دنياهم وآخرتهم، فلا هم آمنوا فأحرزوا ديارهم وأموالهم، ولا هم سالموا فأمنوا أملاكهم، فأصابتهم الهزيمة وأجلوا من ديارهم، وكل هذا بسبب أنهم لا يعقلون ما فيه الحظ والخير لهم، قال السعدي: لا عقل عندهم، ولا لب، فإنهم لو كانت لهم عقول، لآثروا الفاضل على المفضول، ولما رضوا لأنفسهم بأبخس الخطتين، ولكانت كلمتهم مجتمعة، وقلوبهم مؤتلفة، فبذلك يتناصرون ويتعاضدون، ويتعاونون على مصالحهم ومنافعهم الدينية والدنيوية(١).

فلو عقلوا لعلموا أن الخير كل الخير في الإيمان بالله ورسوله –صلى الله عليه وسلم– وفي الآية إعلاما على أنَّ من دلَّه عقله على الإيمان بالله ورسوله– صلى الله عليه وسلم– وتقديم أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على هوى نفسه فهذا صاحب العقل السليم، ومن لا فلا عقل له، وإن شهد له الناس بذلك. وفيها أيضًا تنبيهًا للمؤمنين وإعلامًا لهم لكي يجعلوا خوفهم من الله تعالى أشدَّ من أي خوف، ويحذروا التباغض والتدابر والتنازع لأنه مفتاح الفشل، وذهاب الريح، ويعلموا أنَّ القوة والبأس والنصر على الأعداء لا يأتي إلا إذا كانت الأمة تعقل أمر ربها فتأتمر به، وتعقل النهي فتنتهي عنه، وهي مع ذلك متفقة القلوب،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٨٥٢.

مجتمعة الأصول، يجتمعون على دين واحد، ويحتكمون إلى كتاب واحد، غير مبالين بصغائر الأمور، وأنَّ التوافق على الأقوال والأهداف، لا يجدي شيئا إذا لم يعقل الناس دينهم، ولم تتوافق قلوبهم، ولم تخل من الإحن والعداوات[1].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ٢٣-٢٩٢ ومعالم التنزيل للبغوي ٥-٦٢ والكشاف للزمخشري ٤-٥٠٧ وزاد المسير لابن الجوزي ٤-٢٦١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨-٣٦ وفتح القدير للشوكاني ٥-٢٤٤ والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٨-١٠٦.

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر وأعان على البدء والختام وبعد فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها

١- العقل هو مناط التكليف وعدم استخدام العقل الاستخدام الصحيح كتدبر ما يقوله الله تعالى ورسوله- صلى الله عليه وسلم- يوقع الإنسان في أعظم المصائب والذنوب كالشرك بالله.

٢- العقل تصدر عنه جميع التصرفات ولذا جاء في الآية قبل الهداية.

٣- خلق الله عز وجل للإنسان الجوارح – السمع، اللسان، البصر- ليستعملهم في طاعة الله، فمن لم يسخرهم لمعرفة الدين والشرع أصبح في عِداد الفاقدين لهم.

٤- من لم يستخدم حواسه -السمع أو اللسان أو البصر- مع عدم استخدام العقل فقد انسدت عليه طرق الفهم والقبول للحق.

٥- من عطّل سمعه عن سماع الحق عُدّ من الصُّم، ومن عطّل لسانه عن قول الحق عُدّ من البكم، ومن عطّل نظره عن رؤية الحق عُدّ من العمي، ومن عطّل عقله عن تدبر العقل والإيمان به عُدّ بلا عقل.

٦- جاء الوصف للذين لا يعقلون بفقداهم حواسهم على مراتب أ- من عطّل السمع مع العقل. ب- من عطّل السمع مع اللسان مع العقل، من عطّل السمع واللسان والبصر مع العقل، وهؤلاء شر الثلاثة.

٧- أكرم الله تعالى الإنسان بالعقل وميزه به عن الأنعام، فمن لم يدلّه عقله للهداية والإيمان بما أنزل الله تعالى فالأنعام أفضل منه.

٨- من استهزأ بدين الإسلام أو بشعيرة من شعائره دلّ ذلك على أنه لا عقل له، لأنه لم يدرك بعقله محاسن الإسلام.

٩- من ابتدع بدعا ونسبها إلى الله تعالى فهو من المفترين على الله الكذب، ومن الذين لا يعقلون.

١٠- البدع في الدين لا يقتصر ضررها على الدين فقط، بل تتعدى إلى الدنيا، كأن تضيِّق على الناس ما جعلهم الله في سعة منه.

١١- من أسباب حصول الشر والخذلان والضلال ألّا يعقل الإنسان ما جاءه عن ربه عز وجل على لسان رسله.

١٢- من أقرَّ لله تعالى بالربوبية -الخلق والملك والتدبير- ثم أشرك معه في الألوهية، فلا عقل له، إذ كيف يقرُ بأنّ الله تعالى مدبر الأمر ثم يتوجه إلى غيره.

١٣- من لم يوقِّر النبي صلى الله عليه وسلم في حياته أو بعد مماته، أصبح في عِداد الذين لا يعقلون.

١٤- عدم التعقّل واستخدام العقل الاستخدام الصحيح تنتج عنه كثير من المصائب كالتشتت، وضياع الدنيا والآخرة.

المصادر والمراجع

* إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى- دار إحياء التراث العربي – بيروت.
* أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان- ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
* إعلام الموقعين عن رب العالمين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية - تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم- دار الكتب العلمية – بيروت- ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
* الأوائل لابن أبي عاصم أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني- تحقيق محمد بن ناصر العجمي- دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت.
* البحر المحيط في التفسير أبو حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي- تحقيق صدقي محمد جميل- دار الفكر – بيروت- ط١٤٢٠هـ.
* التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي- الدار التونسية للنشر– تونس - دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ط الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤.
* التسهيل لعلوم التنزيل أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي– تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي- شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت- ط الأولى- ١٤١٦هـ.
* التعريفات علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني- ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر- دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان- ط الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

* التوقيف على مهمات التعاريف زين الدين محمد عبد الرؤوف بن زين العابدين المناوي- عالم الكتب- عبد الخالق ثروت-القاهرة- ط الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
* الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري- المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر- دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي- ط الأولى ١٤٢٢هـ.
* الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي- تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة الثانية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.
* الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي، تحقيق د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر – بيروت، ط١.
* الدر المصون في علوم الكتاب المكنون أبو العباس شهاب الدين أحمد السمين الحلبي – تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط- دار القلم، دمشق.
* الدر المنثور عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي- دار الفكر- بيروت.
* الدرر في اختصار المغازي والسير الحافظ يوسف بن البر النمري- تحقيق الدكتور شوقي ضيف- دار المعارف— القاهرة- ط الثانية، ١٤٠٣هـ.
* السنن الكبرى أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
* الشفا بتعريف حقوق المصطفى عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، دار الفيحاء – عمان، ط٢ - ١٤٠٧هـ.

* الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية إسماعيل بن حماد الجوهري- تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين – بيروت -ط الرابعة-١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
* الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية ط١، ١٤٠٨هـ..
* العين الخليل ابن أحمد أبو عبد الرحمن الفراهيدي البصري، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
* الفروق اللغوية أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري- حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم- دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
* الفوائد محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- دار الكتب العلمية – بيروت- ط الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
* الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - مع الكتاب حاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري- وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله - دار الكتاب العربي– بيروت- ط الثالثة - ١٤٠٧هـ.
* الكليات- أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء- تحقيق عدنان درويش - محمد المصري- مؤسسة الرسالة – بيروت.
* اللباب في علوم الكتاب سراج الدين عمر بن علي بن عادل الدمشقي- المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض- دار الكتب العلمية – بيروت- ط الأولى ١٤١٩هـ.
* المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي - المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد- دار الكتب العلمية – بيروت- ط الأولى- ١٤٢٢هـ.

* المخصص أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي- خليل إبراهيم جفال- دار إحياء التراث العربي – بيروت- ط الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
* المفردات في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني- صفوان عدنان الداودي- دار القلم- الدار الشامية - دمشق بيروت- ط الأولى- ١٤١٢هـ.
* النهاية في غريب الحديث والأثر المبارك بن محمد ابن الأثير- المكتبة العلمية – بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م- تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.
* الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي- تحقيق: صفوان عدنان داوودي- دار القلم، الدار الشامية- دمشق، بيروت– ط الأولى ١٤١٥هـ.
* تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني- الهيئة المصرية العامة للكتاب-١٩٩٠م.
* تفسير القرآن العظيم إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي- المحقق: سامي بن محمد سلامة – دار طيبة للنشر والتوزيع- ط الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م..
* تفسير القرآن منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد السمعاني– تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم- دار الوطن، الرياض– السعودية- ط الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
* تفسير الماوردي (النكت والعيون) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البغدادي، الشهير بالماوردي- تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم- دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
* تهذيب اللغة محمد بن أحمد بن الأزهري- المحقق: محمد عوض مرعب - دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط الأولى٢٠٠١م.

* تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي- المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق- مؤسسة الرسالة – ط الأولى، ١٤٢٠هـ.
* جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري- المحقق: أحمد محمد شاكر- مؤسسة الرسالة- ط الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
* جامع العلوم في اصطلاحات الفنون القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري -عرَّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص- دار الكتب العلمية - لبنان، بيروت- ط الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
* جمهرة اللغة أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
* درء تعارض العقل والنقل أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني- تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية- ط الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي- تحقيق علي عبد الباري عطية- دار الكتب العلمية – بيروت - ط الأولى١٤١٥هـ.
* زاد المسير في علم التفسير عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي- المحقق: عبد الرزاق المهدي- دار الكتاب العربي – بيروت- ط الأولى- ١٤٢٢هـ.
* سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض- ط الأولى- مكتبة المعارف- ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.
* سنن الترمذي محمد بن عيسى الترمذي- تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – ط الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

* صحيح ابن حبان أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، تحقيق محمد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم — بيروت، ط١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
* صحيح مسلم أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي — القاهرة- ١٣٧٤هـ.
* صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن آدم الألباني، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.
* صحيح وضعيف سنن الترمذي محمد ناصر الدين الألباني- مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
* طريق الهجرتين وباب السعادتين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية - دار السلفية، القاهرة، مصر- ط الثانية، ١٣٩٤هـ.
* عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.
* فتح القدير محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني- دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت - ط الأولى-١٤١٤هـ..
* لسان العرب محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري- دار صادر— بيروت- ط الثالثة - ١٤١٤هـ.
* مباحث في العقل محمد نعيم يسن، دار النفائس، ط١،١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
* مجموع الفتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة - السعودية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
* محاسن التأويل محمد جمال الدين بن محمد القاسمي — تحقيق محمد باسل عيون السود - دار الكتب العلمية — بيروت- ط الأولى — ١٤١٨هـ.

* معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) - محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي- حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش- دار طيبة للنشر والتوزيع- ط الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
* معاني القرآن أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء- تحقيق أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي- دار المصرية للتأليف والترجمة — مصر- ط الأولى.
* معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكريا الرازي أبو الحسين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م.
* معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي _ تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي - جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق -بيروت) - ط الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
* مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي- دار إحياء التراث العربي — بيروت - ط الثالثة - ١٤٢٠هـ.

Romanized List of Resources

- Irshād al-ʿAql al-Salīm ilā Mayāzā al-Kitāb al-Karīm, Abū al-Suʿūd al-ʿImādī Muḥammad ibn Muḥammad ibn Muṣṭafā, Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, Beirut.
- Aḍwāʾ al-Bayān fī Īḍāḥ al-Qurʾān bil-Qurʾān, Muḥammad al-Amīn ibn Muḥammad al-Mukhtār al-Shinqīṭī, Dār al-Fikr li-l-Ṭibāʿah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʿ, Beirut, Lebanon, 1415 AH / 1995 CE.
- Iʿlām al-Muwaqqiʿīn ʿan Rabb al-ʿĀlamīn, Muḥammad ibn Abī Bakr ibn Ayyūb ibn Saʿd Shams al-Dīn Ibn Qayyim al-Jawziyyah, ed. Muḥammad ʿAbd al-Salām Ibrāhīm, Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Beirut, 1st ed., 1411 AH / 1991 CE.

- al-Awāʾil li-Ibn Abī ʿĀṣim, Abū Bakr ibn Abī ʿĀṣim al-Shaybānī, ed. Muḥammad ibn Nāṣir al-ʿAjmī, Dār al-Khulafāʾ li-l-Kitāb al-Islāmī, Kuwait.
- al-Baḥr al-Muḥīṭ fī al-Tafsīr, Abū Ḥayyān Muḥammad ibn Yūsuf Athīr al-Dīn al-Andalusī, ed. Ṣidqī Muḥammad Jamīl, Dār al-Fikr, Beirut, 1420 AH.
- al-Taḥrīr wa-al-Tanwīr (Taḥrīr al-Maʿnā al-Sadīd wa-Tanwīr al-ʿAql al-Jadīd min Tafsīr al-Kitāb al-Majīd), Muḥammad al-Ṭāhir ibn Muḥammad ibn Muḥammad al-Ṭāhir ibn ʿĀshūr al-Tūnisī, al-Dār al-Tūnisiyyah li-l-Nashr, Tunis – Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Beirut, 1st ed., 1415 AH / 1994 CE.
- al-Tashīl li-ʿUlūm al-Tanzīl, Abū al-Qāsim Muḥammad ibn Aḥmad ibn Muḥammad ibn ʿAbd Allāh, Ibn Juzayy al-Kalbī al-Gharnāṭī, ed. ʿAbd Allāh al-Khālidī, Sharikat Dār al-Arqam ibn Abī al-Arqam, Beirut, 1st ed., 1416 AH.
- al-Taʿrīfāt, ʿAlī ibn Muḥammad ibn ʿAlī al-Zayn al-Sharīf al-Jurjānī, reviewed and corrected by a group of scholars under the supervision of the publisher, Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Beirut, 1st ed., 1403 AH / 1983 CE.
- al-Tawqīf ʿalā Muhimmāt al-Taʿārīf, Zayn al-Dīn Muḥammad ʿAbd al-Raʾūf ibn Zayn al-ʿĀbidīn al-Manāwī, ʿĀlam al-Kutub, ʿAbd al-Khāliq Tharwat, Cairo, 1st ed., 1410 AH / 1990 CE.
- al-Jāmiʿ al-Musnad al-Ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min Umūr Rasūl Allāh ﷺ wa-Sunanih wa-Ayyāmih (Ṣaḥīḥ al-Bukhārī), Muḥammad ibn Ismāʿīl al-Juʿfī al-Bukhārī, ed. Muḥammad Zuhayr ibn Nāṣir al-Nāṣir, Dār Ṭawq al-Najāh (photocopy of the Sulṭāniyyah edition with numbering by Muḥammad Fuʾād ʿAbd al-Bāqī), 1st ed., 1422 AH.
- al-Jāmiʿ li-Aḥkām al-Qurʾān (Tafsīr al-Qurṭubī), Muḥammad ibn Aḥmad ibn Abī Bakr ibn Farḥ al-Qurṭubī, eds. Aḥmad al-Bardūnī and Ibrāhīm Aṭfīsh, Dār al-Kutub al-Miṣriyyah, Cairo, 2nd ed., 1384 AH / 1964 CE.
- al-Ḥudūd al-Anīqah wa-al-Taʿrīfāt al-Daqīqah, Zakariyyā ibn Muḥammad ibn Aḥmad ibn Zakariyyā al-Anṣārī, Zayn al-Dīn Abū Yaḥyā al-Sinīkī, ed. Māzin al-Mubārak, Dār al-Fikr al-Muʿāṣir, Beirut, 1st ed.
- al-Durr al-Maṣūn fī ʿUlūm al-Kitāb al-Maknūn, Abū al-ʿAbbās Shihāb al-Dīn Aḥmad al-Samīn al-Ḥalabī, ed. Aḥmad Muḥammad al-Khaṭṭāṭ, Dār al-Qalam, Damascus.
- al-Durr al-Manthūr, ʿAbd al-Raḥmān ibn Abī Bakr Jalāl al-Dīn al-Suyūṭī, Dār al-Fikr, Beirut.
- al-Durar fī Ikhtiṣār al-Maghāzī wa-al-Siyar, al-Ḥāfiẓ Yūsuf ibn al-Barr al-Namarī, ed. Shawqī Ḍayf, Dār al-Maʿārif, Cairo, 2nd ed., 1403 AH.
- al-Sunan al-Kubrā, Abū ʿAbd al-Raḥmān Aḥmad ibn Shuʿayb al-Nasāʾī, ed. Ḥasan ʿAbd al-Munʿim Shalabī, supervised by Shuʿayb al-Arnāʾūṭ, foreword by ʿAbd Allāh ibn ʿAbd al-Muḥsin al-Turkī, Muʾassasat al-Risālah, Beirut, 1st ed., 1421 AH / 2001 CE.
- al-Shifāʾ bi-Taʿrīf Ḥuqūq al-Muṣṭafā, ʿIyāḍ ibn Mūsā ibn ʿIyāḍ ibn ʿAmrūn al-Yaḥṣubī al-Sabtī, Abū al-Faḍl, Dār al-Fayḥāʾ, ʿAmmān, 2nd ed., 1407 AH.

- al-Ṣiḥāḥ: Tāj al-Lughah wa-Ṣiḥāḥ al-ʿArabiyyah, Ismāʿīl ibn Ḥammād al-Jawharī, ed. Aḥmad ʿAbd al-Ghafūr ʿAṭṭār, Dār al-ʿIlm li-l-Malāyīn, Beirut, 4th ed., 1407 AH / 1987 CE.
- al-Ṣawāʿiq al-Mursalah fī al-Radd ʿalā al-Jahmiyyah wa-al-Muʿaṭṭilah, Muḥammad ibn Abī Bakr ibn Ayyūb ibn Saʿd Shams al-Dīn Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Dār al-ʿĀṣimah, Riyadh, 1st ed., 1408 AH.
- al-ʿAyn, al-Khalīl ibn Aḥmad Abū ʿAbd al-Raḥmān al-Farāhīdī al-Baṣrī, eds. Mahdī al-Makhzūmī and Ibrāhīm al-Sāmarāʾī, Dār wa-Maktabat al-Hilāl.
- al-Furūq al-Lughawiyyah, Abū Hilāl al-Ḥasan ibn ʿAbd Allāh ibn Sahl ibn Saʿīd al-ʿAskarī, ed. Muḥammad Ibrāhīm Salīm, Dār al-ʿIlm wa-al-Thaqāfah li-l-Nashr wa-al-Tawzīʿ, Cairo.
- al-Fawāʾid, Muḥammad ibn Abī Bakr ibn Ayyūb ibn Saʿd Shams al-Dīn Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Beirut, 2nd ed., 1393 AH / 1973 CE.
- al-Kashshāf ʿan Ḥaqāʾiq Ghawāmiḍ al-Tanzīl, with Ḥāshiyyah al-Intiṣāf fīmā Taḍammanahu al-Kashshāf by Ibn al-Munīr al-Iskandarī, and Takhrīj Aḥādīth al-Kashshāf by al-Imām al-Zaylaʿī, Abū al-Qāsim Maḥmūd ibn ʿAmr ibn Aḥmad al-Zamakhsharī Jār Allāh, Dār al-Kitāb al-ʿArabī, Beirut, 3rd ed., 1407 AH.
- al-Kulliyyāt, Ayyūb ibn Mūsā al-Ḥusaynī al-Kafawī, Abū al-Baqāʾ, eds. ʿAdnān Darwīsh and Muḥammad al-Miṣrī, Muʾassasat al-Risālah, Beirut.
- al-Lubāb fī ʿUlūm al-Kitāb, Sirāj al-Dīn ʿUmar ibn ʿAlī ibn ʿĀdil al-Dimashqī, eds. ʿĀdil Aḥmad ʿAbd al-Mawjūd and ʿAlī Muḥammad Muʿawwaḍ, Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Beirut, 1st ed., 1419 AH.
- al-Muḥarrar al-Wajīz fī Tafsīr al-Kitāb al-ʿAzīz, ʿAbd al-Ḥaqq ibn Ghālib ibn ʿAṭiyyah al-Andalusī, ed. ʿAbd al-Salām ʿAbd al-Shāfī Muḥammad, Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Beirut, 1st ed., 1422 AH.
- al-Mukhaṣṣaṣ, Abū al-Ḥasan ʿAlī ibn Ismāʿīl ibn Saydah al-Marsī, Khalīl Ibrāhīm Jaffāl, Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, Beirut, 1st ed., 1417 AH / 1996 CE.
- al-Mufradāt fī Gharīb al-Qurʾān, Abū al-Qāsim al-Ḥusayn ibn Muḥammad al-Rāghib al-Iṣfahānī, Ṣafwān ʿAdnān al-Dāʾūdī, Dār al-Qalam – al-Dār al-Shāmiyyah, Damascus/Beirut, 1st ed., 1412 AH.
- al-Nihāyah fī Gharīb al-Ḥadīth wa-al-Athar, al-Mubārak ibn Muḥammad Ibn al-Athīr, Dār al-Maktabah al-ʿIlmiyyah, Beirut, 1399 AH / 1979 CE, eds. Ṭāhir Aḥmad al-Zāwī and Maḥmūd Muḥammad al-Ṭanāḥī.
- al-Wajīz fī Tafsīr al-Kitāb al-ʿAzīz, Abū al-Ḥasan ʿAlī ibn Aḥmad ibn Muḥammad al-Wāḥidī al-Nīsābūrī al-Shāfiʿī, ed. Ṣafwān ʿAdnān al-Dāʾūdī, Dār al-Qalam – al-Dār al-Shāmiyyah, Damascus/Beirut, 1st ed., 1415 AH.
- Tafsīr al-Qurʾān al-Ḥakīm (Tafsīr al-Manār), Muḥammad Rashīd ibn ʿAlī Riḍā al-Qalamūnī al-Ḥusaynī, al-Hayʾah al-Miṣriyyah al-ʿĀmmah li-l-Kitāb, 1990 CE.
- Tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm, Ismāʿīl ibn ʿUmar ibn Kathīr al-Qurashī al-Dimashqī, ed. Sāmī ibn Muḥammad Salāmah, Dār Ṭayyibah li-l-Nashr wa-al-Tawzīʿ, 2nd ed., 1420 AH / 1999 CE.

- Tafsīr al-Qurʾān, Manṣūr ibn Muḥammad ibn ʿAbd al-Jabbār ibn Aḥmad al-Samʿānī, eds. Yāsir ibn Ibrāhīm and Ghunaym ibn ʿAbbās ibn Ghunaym, Dār al-Waṭan, Riyadh, Saudi Arabia, 1st ed., 1418 AH / 1997 CE.
- Tafsīr al-Māwardī (al-Nukat wa-al-ʿUyūn), Abū al-Ḥasan ʿAlī ibn Muḥammad ibn Muḥammad ibn Ḥabīb al-Baghdādī (al-Māwardī), ed. al-Sayyid ibn ʿAbd al-Maqṣūd ibn ʿAbd al-Raḥīm, Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Beirut.
- Tahdhīb al-Lughah, Muḥammad ibn Aḥmad ibn al-Azharī, ed. Muḥammad ʿAwaḍ Murʿib, Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, Beirut, 1st ed., 2001 CE.
- Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī Tafsīr Kalām al-Mannān, ʿAbd al-Raḥmān ibn Nāṣir ibn ʿAbd Allāh al-Saʿdī, ed. ʿAbd al-Raḥmān ibn Miʿllā al-Luwayḥiq, Muʾassasat al-Risālah, 1st ed., 1420 AH.
- Jāmiʿ al-Bayān fī Taʾwīl al-Qurʾān, Muḥammad ibn Jarīr ibn Yazīd Abū Jaʿfar al-Ṭabarī, ed. Aḥmad Muḥammad Shākir, Muʾassasat al-Risālah, 1st ed., 1420 AH / 2000 CE.
- Jāmiʿ al-ʿUlūm fī Iṣṭilāḥāt al-Funūn, al-Qāḍī ʿAbd al-Nabī ibn ʿAbd al-Rasūl al-Aḥmad Nakrī, Persian terms translated by Ḥasan Hānī Faḥṣ, Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Beirut, 1st ed., 1421 AH / 2000 CE.
- Jamhurat al-Lughah, Abū Bakr Muḥammad ibn al-Ḥasan ibn Durayd al-Azdī, ed. Ramzī Munīr Baʿlabakkī, Dār al-ʿIlm li-l-Malāyīn, Beirut, 1st ed., 1987 CE.
- Darʾ Taʿāruḍ al-ʿAql wa-al-Naql, Aḥmad ibn ʿAbd al-Ḥalīm ibn ʿAbd al-Salām Ibn Taymiyyah al-Ḥarrānī, ed. Muḥammad Rashād Sālim, Jāmiʿat al-Imām Muḥammad ibn Saʿūd al-Islāmiyyah, Saudi Arabia, 2nd ed., 1411 AH / 1991 CE.
- Rūḥ al-Maʿānī fī Tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm wa-al-Sabʿ al-Mathānī, Shihāb al-Dīn Maḥmūd ibn ʿAbd Allāh al-Ḥusaynī al-Ālūsī, ed. ʿAlī ʿAbd al-Bārī ʿAṭiyyah, Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Beirut, 1st ed., 1415 AH.
- Zād al-Masīr fī ʿIlm al-Tafsīr, ʿAbd al-Raḥmān ibn ʿAlī ibn Muḥammad al-Jawzī, ed. ʿAbd al-Razzāq al-Mahdī, Dār al-Kitāb al-ʿArabī, Beirut, 1st ed., 1422 AH.
- Silsilat al-Aḥādīth al-Ṣaḥīḥah wa-Shayʾ min Fiqhihā wa-Fawāʾidihā, Muḥammad Nāṣir al-Dīn al-Albānī, Maktabat al-Maʿārif li-l-Nashr wa-al-Tawzīʿ, Riyadh, 1st ed., 1422 AH / 2002 CE.
- Sunan al-Tirmidhī, Muḥammad ibn ʿĪsā al-Tirmidhī, ed. and commentary by Aḥmad Muḥammad Shākir, Sharikat Maktabat wa-Maṭbaʿat Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī, 2nd ed., 1395 AH / 1975 CE.
- Ṣaḥīḥ Ibn Ḥibbān, Abū Ḥātim Muḥammad ibn Ḥibbān ibn Aḥmad al-Tamīmī al-Bustī, eds. Muḥammad ʿAlī Sūnumaz and Khāliṣ Āy Damīr, Dār Ibn Ḥazm, Beirut, 1st ed., 1433 AH / 2012 CE.
- Ṣaḥīḥ Muslim, Abū al-Ḥusayn Muslim ibn al-Ḥajjāj al-Qushayrī al-Nīsābūrī, ed. Muḥammad Fuʾād ʿAbd al-Bāqī, Dār Iḥyāʾ al-Kutub al-ʿArabiyyah, Fayṣal ʿĪsā al-Bābī al-Ḥalabī, Cairo, 1374 AH.

- Ṣaḥīḥ Mawārid al-Ẓamʾān ilā Zawāʾid Ibn Ḥibbān, Abū ʿAbd al-Raḥmān Muḥammad Nāṣir al-Dīn ibn Ādam al-Albānī, Dār al-Ṣumayʿī li-l-Nashr wa-al-Tawzīʿ, Riyadh, Saudi Arabia, 1st ed., 1422 AH / 2002 CE.
- Ṣaḥīḥ wa-Ḍaʿīf Sunan al-Tirmidhī, Muḥammad Nāṣir al-Dīn al-Albānī, Markaz Nūr al-Islām li-Abḥāth al-Qurʾān wa-al-Sunnah, Alexandria.
- Ṭarīq al-Hijratayn wa-Bāb al-Saʿādatayn, Muḥammad ibn Abī Bakr ibn Ayyūb ibn Saʿd Shams al-Dīn Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Dār al-Salafiyyah, Cairo, Egypt, 2nd ed., 1394 AH.
- ʿUmdat al-Ḥuffāẓ fī Tafsīr Ashraf al-Alfāẓ, Abū al-ʿAbbās Shihāb al-Dīn Aḥmad ibn Yūsuf ibn ʿAbd al-Dāʾim (al-Samīn al-Ḥalabī), ed. Muḥammad Bāsil ʿUyūn al-Sūd, Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1st ed., 1417 AH / 1996 CE.
- Fatḥ al-Qadīr, Muḥammad ibn ʿAlī ibn Muḥammad ibn ʿAbd Allāh al-Shawkānī, Dār Ibn Kathīr – Dār al-Kalim al-Ṭayyib, Damascus/Beirut, 1st ed., 1414 AH.
- Lisān al-ʿArab, Muḥammad ibn Mukarram ibn ʿAlī Ibn Manẓūr al-Anṣārī, Dār Ṣādir, Beirut, 3rd ed., 1414 AH.
- Mabāḥith fī al-ʿAql, Muḥammad Naʿīm Yāsīn, Dār al-Nafāʾis, 1st ed., 1432 AH / 2011 CE.
- Majmūʿ al-Fatāwā, Shaykh al-Islām Aḥmad ibn Taymiyyah, compiled and arranged by ʿAbd al-Raḥmān ibn Muḥammad ibn Qāsim, King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qurʾān, Madinah, Saudi Arabia, 1425 AH / 2004 CE.
- Maḥāsin al-Taʾwīl, Muḥammad Jamāl al-Dīn ibn Muḥammad al-Qāsimī, ed. Muḥammad Bāsil ʿUyūn al-Sūd, Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Beirut, 1st ed., 1418 AH.
- Maʿālim al-Tanzīl fī Tafsīr al-Qurʾān (Tafsīr al-Baghawī), Muḥyī al-Sunnah Abū Muḥammad al-Ḥusayn ibn Masʿūd al-Baghawī, eds. Muḥammad ʿAbd Allāh al-Nimr, ʿUthmān Jumʿah Ḍumayriyyah, and Sulaymān Muslim al-Ḥarsh, Dār Ṭayyibah li-l-Nashr wa-al-Tawzīʿ, 4th ed., 1417 AH / 1997 CE.
- Maʿānī al-Qurʾān, Abū Zakariyyā Yaḥyā ibn Ziyād ibn ʿAbd Allāh al-Farrāʾ, eds. Aḥmad Yūsuf al-Najjātī, Muḥammad ʿAlī al-Najjār, and ʿAbd al-Fattāḥ Ismāʿīl al-Shalabī, Dār al-Miṣriyyah li-l-Taʾlīf wa-al-Tarjamah, Egypt, 1st ed.
- Muʿjam Maqāyīs al-Lughah, Aḥmad ibn Fāris ibn Zakarīyyā al-Rāzī Abū al-Ḥusayn, ed. ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, Dār al-Fikr, 1399 AH / 1979 CE.
- Maʿrifat al-Sunan wa-al-Āthār, Aḥmad ibn al-Ḥusayn ibn ʿAlī ibn Mūsā Abū Bakr al-Bayhaqī, ed. ʿAbd al-Muʿṭī Amīn Qalʿajī, Jāmiʿat al-Dirāsāt al-Islāmiyyah (Karachi, Pakistan) – Dār Qutaybah (Damascus/Beirut), 1st ed., 1412 AH / 1991 CE.
- Mafātīḥ al-Ghayb (al-Tafsīr al-Kabīr), Abū ʿAbd Allāh Muḥammad ibn ʿUmar ibn al-Ḥasan ibn al-Ḥusayn al-Taymī al-Rāzī, Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, Beirut, 3rd ed., 1420 AH.